NEW
جديد
NOUVEAU

روايات سوفنير SOUVENIR

العاطفة المفقودة

6

كلوديا آرو

WWW.REWITY.COM
مرمورية

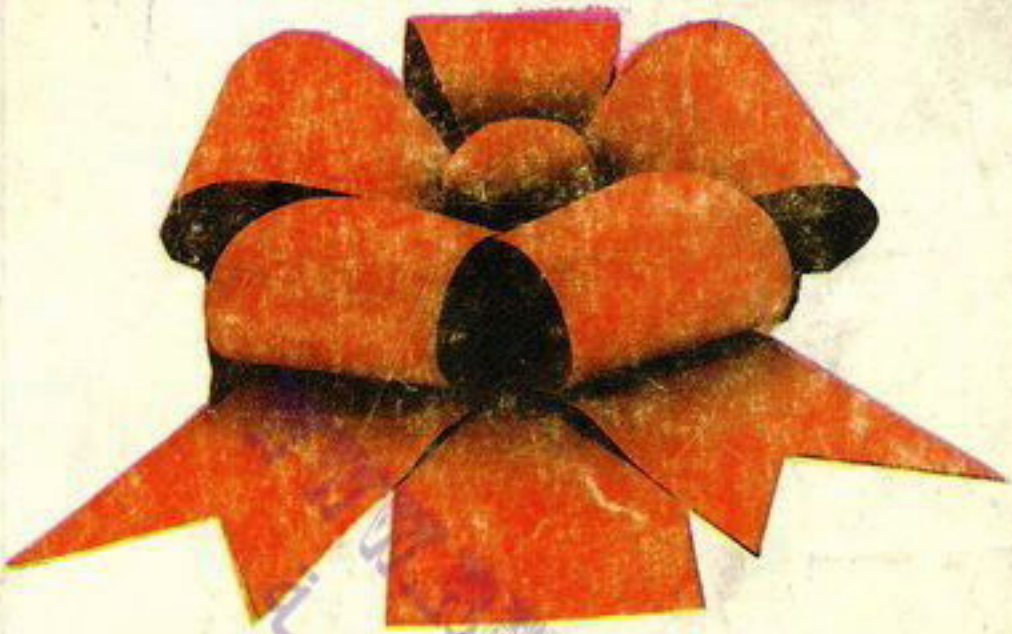

سلسلة روايات سوفنير الرومانسية

[illegible]

مقتبسة عن أشهر الروايات الإيطالية والأوروبية وقد تم تعريب شخصياتها وأحداثها لتتماشى مع آداب السلوك والحشمة في بلاد المشرق العربي. روعي في سرد أحداثها، إبراز العواطف النبيلة والملتزمة لكي تدخل البيوت من أبوابها وتكون بمثابة المرشد الصالح للشباب والفتيات، بحيث أنها لا تشكل حرجاً أمام الآباء والأمهات من خلال قراءتها.

روعي في إعدادها الاعتماد على مجموعة من القصصيين والتربويين المتخصصين في العالم العربي. وتم التركيز على إبراز الهدف والعبرة المفيدة منها، من خلال واقعية الأحداث المشوقة، والرجوع إلى الأصالة والأخلاق الحميدة والتربية الصالحة.

مشيرة وشقيقها شاكر، تركا يتيمين في سن مبكرة، وكان عليهما أن يعيشا في كنف عمتهما وزوجها، اللذين اعتنيا بهما لكنهما لم يمنحاهما المحبة.

شاكر، لشدة دهشة عمته، قام بخطوات كبيرة في المدرسة، وعندما غادر، في السادسة عشرة، حصل على وظيفة ذات مستقبل زاهر. كان طموحاً، وعمل بجد إلى أن سنحت له الفرصة ليحل محل ممثل للشركة في سويسرا.

التقى شاكر بغادة قبل ستة أشهر تقريباً، واحتفظ لها بعاطفة قوية، وقرر الزواج منها في الحال. وهكذا، معاً، أسسا بيتاً في سويسرا، وعاشا سعيدين بصورة مثالية...

أما مشيرة فقد تركت المدرسة والتحقت بكلية السكرتارية، ثم تخصصت في الإختزال والطباعة، وحصلت على وظيفة سكرتيرة في مؤسسة صناعية صغيرة.

قررت مشيرة أن تستقل تماماً الآن عن عمتها لأنها تحصل أجراً، خاصة وأن شقيقها لم يعد يقيم معها، فاستأجرت شقة قريبة من مكان عملها وتمتعت بالحرية، لكنها كثيراً ما كانت تفتقد شقيقها.

تعرفت مشيرة على جواد، إبن صاحب العمل، وتبادلا العاطفة وخطبها. لكنها سرعان ما فوجئت به يفسخ الخطوبة ليتزوج من إمرأة ثرية، فقررت ترك العمل والسفر عند شقيقها.

هناك وجدت أن زوجة شقيقها كانت حاملاً، وأن هناك خطراً على حياتها عند الولادة. وضعت غادة طفلة جميلة لكنها توفيت أثناء الولادة.

كانت الصدمة قوية على شاكر، لدرجة أنه كره الطفلة. قررت مشيرة البقاء إلى جانب شقيقها في محنته، وتكريس حياتها لتربية الطفلة، التي سرعان ما كبرت وحملت إسم والدتها، وأصبحت جميلة كأمها.

ودارت الأيام، وتعرف شاكر على رباب وأحس بعاطفة نحوها، فيما تعرفت مشيرة على بلال، صاحب فندق الوادي، لكنها ما زالت تشعر بحنين لجواد.

بعد الكارثة التي حلت بالقرية بسبب العاصفة التي دمرت القرية، وكادت تودي بحياة بلال والشابة غادة، اللذين تم إنقاذهما بمعجزة.

عندئذٍ قرروا العودة إلى الوطن بعد أن فقدوا كل ما يملكون. وعادت رباب معهم. وهناك اشترى شاكر بيتاً ليقيموا فيه.

أخذ شاكر يتردد على استوديو الفنانة رباب، ونجح في النهاية بإقناعها بالزواج منه، وهكذا عادت الفرحة إلى قلبه، والسعادة إلى بيته.

وأخيراً، كيف ستنتهي أحداث هذه الرواية؟ وكيف ستكون النتائج سلبية أم إيجابية بالنسبة للأبطال.... وهل ستجري الرياح كما تشتهي السفن؟...

هيا معاً نقرأ فصولها ووقائعها المشوقة لنستخلص العبرة من الحياة، ولنرى ماذا يخبىء القدر في صفحاته من لوعة للقلوب وحسره للمحبين وسعادة لمن نالوا مرادهم بعد طول عذاب.

الناشر

الفصل الأول

كان الوادي عريضاً وعميقاً وغنياً بالمراعي الخضراء. عند الطرف البعيد يقع المنحدر الفيروزي العريض للبحيرة. جداول تكوّن أشرطة فضية عندما تنعكس عليها أشعة شمس الغروب.

شلالات تنحدر عند سفوح الجبال لوقعها صدى موسيقي. أبقار، مخلوقات بنية وسوداء جميلة، تجتر بصورة منتظمة الأعشاب التي مضغتها، وعندما تحني رؤوسها أجراسها تقرع بنغمة موسيقية خاصة بها.

في الأسفل قليلاً تقبع قرية عند سفح الجبل. إلى الشمال من الوادي، إلى الجنوب، والشرق، والغرب، تشمخ الجبال كحراس ضخام. كان هناك شعور بالأمان في الوادي وإحساس بالرقة. السماء في الأعالي كانت كبطاقة بريدية زرقاء ومبرقعة بغيوم بيضاء صغيرة.

«إنه جميل»، قالت مشيرة. «جميل حقاً!»

«إذن ستقيم لفترة؟»

«نعم، يا شاكر، سأقيم».

«إذن هذه راحة. إنني ما زلت قلقاً عليك، كما تعلمين».

إبتسمت مشيرة ونظرت إلى شقيقها. كان أطول منها بكثير وفي السادسة والعشرين، يكبرها بخمس سنوات. رغم ذلك، فإن التشابه بينهما كان مذهلاً. كلاهما بشعر أشقر وعينين زرقاوين. كانا نحيلا البنية ولديهما نفس الإبتسامة الصريحة.

«حسناً»، قال شاكر، «لقد استغرقني وقت طويل لإقناعك بترك وظيفتك المكتبية الجميلة والقدوم إلى سويسرا. كنت أتمنى لو كان ذلك في ظروف أكثر سعادة».

قالت مشيرة مؤكدة، «كل شيء سيكون على ما يرام، يا شاكر. من الطبيعي أنك متوتر. لكن»، أضافت بقليل من الثقة، «إن لديك أملاً مدهشاً بأن يكون لديك ابن جميل أو إبنة. إنني أعرف أن قلب غادة ليس قوياً، لكنها صحية بكل طريقة أخرى. إن مخاوفك لا أساس لها، أنا متأكدة».

حتى وهي تتكلم شعرت مشيرة بتلك الوخزات من الشك التي كانت لديها منذ أن سمعت بأن غادة كانت حقاً مريضة جداً. هل سيكون كل شيء خالياً من التعقيد؟ إذا فقدت طفلها، فإن ذلك سيكون خيبة أمل رهيبة ـ لكن إذا فقدت غادة حياتها، فإن شاكر عندئذٍ لن يكون قابلاً للمواساة.

في الحقيقة، لقد قال بعد لحظة، «إن فقدت غادة، فإنني لست أدري ماذا سأفعل».

إستوعبت مشيرة جمال كل ما حولها وفجأة تمنت لو أنها حضرت إلى هنا منذ زمن طويل، عندما كانت غادة وشاكر يحثانها على زيارتهما. لكنها في ذلك الوقت لم تكن لديها رغبة في مغادرة أرض الوطن، حتى ولو لبضعة أيام، لأن ذلك كان يعني ترك جواد...

لقد جاءت الآن في الوقت الحرج ـ لكن في وقت كان ضرورياً بأن تكون هناك. إن شقيقها بحاجة لها، إلى شخص من لحمه ودمه يمكن أن يفهم مخاوفه. لاحقاً، إذا سار كل شيء على ما يرام، هي، مشيرة، يمكنها أن تساعد غادة بالطفل حتى تستعيد قواها...

هز شاكر كتفيه كأنه يقوم بمجهود لطرد مخاوفه وقال، «من الأفضل لنا أن نعود إلى البيت سريعاً، لكنني أولاً أريدك أن تسمعي الأجراس. يمكنك أن تسمعي صداها عبر الوادي. أنا لن أتعب من الصوت».

صمتا بعد ذلك ونظرت مشيرة حولها. الريف المحيط، عندما يتوقف المرء عن التمتع به، كان خشناً وبدائياً. الجبال كانت أكثر هولاً وموحشة أكثر من الجبال الأخرى التي رأتها. يمكنها أن تتخيل تلك التلة الجانحة الأولى

التي ولدت تلك السلسلة. حتى الأشجار الشامخة بدت كالآلهات المتعبات، أغصانها متدلية كخرق خضراء. أشجار الصنوبر، أفسدها السن، والثلج، وزوابع الشتاء المريرة، تشبه الرباعين القدماء بأذرعهم المفتولة.

«يا شاكر»، سألت مشيرة، «ما الذي جعلك حقاً تقيم هنا؟ إنني أعرف أنك الممثل الخاص للشركة لوارداتها من الأخشاب، لكن الإقامة هنا هي بكل تأكيد لم تكن ضرورية؟»

«ليس حقيقة، مع أنه من المناسب جداً أن يكون المرء قريباً، كما هي الحال. لكنني أعتقد في حقيقة أن غادة وأنا قد وقعنا في غرام هذا المكان».

«لكنك عربي نموذجي».

«أحقاً؟» إبتسم. «وأنا أعتقد أنني أقوم بعمل جيد لكي أتكيف».

«أنت تعلم ماذا أقصد. إنه لا يشبه بلدك، أليس كذلك؟ لا رياضة ولا ـ ولا ـ»

«ولا حفلات؟ ولا شاي؟ هيا، يا مشيرة، فقط ما الذي تحاولين قوله؟»

«ذلك يبدو أن هذا المكان قد يكون صعباً جداً».

«نعم، إنه كذلك ـ في الشتاء، وصدقيني، الشتاء قد يكون طويلاً جداً. لكن غادة وأنا سعيدين هنا. بالطبع لم

يكن ذلك بكل تلك السهولة عند بداية مجيئنا، لكننا الآن لن نختار أي مكان آخر في العام». نظر إلى ساعته. «أية دقيقة الآن!»

ما أن خرجت الكلمات من فمه حتى بدأت الأجراس تقرع. وعندئذٍ سمعت مشيرة فرحة الوادي بكامله. وقفت ساكنة وهي تشعر بحزنها المرير، وأنه في تلك اللحظة من الإنفعال العميق لم يعد مهماً لو انهمرت الدموع. وجدت نفسها تصلي كيلا يشعر شاكر بهكذا ألم. ثم صلّت من أجل غادة والمولود القادم، لأن غادة كانت مريضة جداً بالفعل.

الصدى الأخير للأجراس تحول إلى صمت. الآن عاد الوادي ساكناً من جديد. السماء في الغرب بدأت تصدر ظلالاً من الأشعة الحمراء والبرتقالية. الشمس أصبحت بالوناً برتقالياً يستريح على قمة الجبل. لقد أحالت القمة إلى ذهب مصهور.

«دعينا نعود إلى البيت»، قال شاكر، مدعياً أنه لا يرى إنفعالها.

كان بيت شاكر وغادة من تصميم سويسري نموذجي. مصنوع من كتل خشبية مستديرة ويقف على قاعدة صخرية، وكان جميلاً. عند واجهته حديقة صخرية واسعة

تشع بالأزهار الصغيرة. أشجار تزينية صنوبرية على جانبي الممشى المؤدي إلى الباب. علب النوافذ كانت تعج بالأزهار. عريشة مليئة بالأزهار الخضراء والبيضاء تغطي نصف الحائط.

في الداخل، كان البيت فسيحاً. هناك غرفتان كبيرتان غنيتان بالأثاث السويسري النموذجي. غادة كانت تحب السجاد الشرقي. إنها تشع بكل ألوان الشرق على ظلام الأرضية الخشبية المصقولة. نار من الكتل الخشبية تشتعل في الموقد الحجري الكبير.

«أعتقد بأنك متعبة»، قال شاكر. «لقد كان يوماً صعباً بالنسبة لك». ناولها كأساً من الشراب. «إشربيه. إنه سينعشك تماماً».

«أشكرك. إم م، ليس رديئاً! مع ذلك فأنا لست متعبة؛ إنني أحب السفر. إنه يأخذ أفكار المرء إلى البعيد ـ عن ذاته».

«إذن لماذا أمضيت ذلك الوقت الطويل في مكتبك؟»

«ألم تكن تعلم؟ لقد وقعت في هوى رئيسي!»

«ليس العجوز مراد؟ أنت تمزحين!»

«أحمق! إنني أتحدث عن ابنه، جواد».

«هل أنت جادة!»

«نعم، يا شاكر. عندما انتهى كل شيء لم أكن راغبة في العيش طويلاً. لقد شعرت كأنه قد أخذ كل قطعة مني معه. لم أستطع إبعاده عن ذهني».

بدا شاكر متحيراً. «ماذا حدث؟ أعني، لماذا انتهى كل شيء؟»

لماذا! سرحت أفكار مشيرة إلى تلك اللحظة عندما علمت بأن جواد ينوي الزواج من إمرأة إلتقاها في رحلة عمل في الخارج. إنها تشعر من جديد بالمرارة التي شعرتها عندئذٍ، عندما أخبرها بأنه كان يكن عاطفة نحو إمرأة أخرى. لقد تلاشى الألم، لكن ندوبه بقيت.

فيما بعد، علمت من صديقة أن المرأة التي تزوجها جواد كانت واسعة الثراء. إذن لقد لعب دوراً في خداعه لمشيرة! العاطفة مع المال كانا بدون شك أفضل عنده من العاطفة بدون مال.

لقد كانت حمقاء، لأنها لم تشتبه بما كان يجري، وأنه كان يقابل إمرأة أخرى، وأن هناك منافسة، سطحياً، قد تزايدها في النهاية. لعب جواد أوراقه بذكاء، إلى أن كشف أخيراً عن خططه ـ تلك الخطط التي عزلتها من حياته إلى الأبد.

«لكنك بقيت في الشركة؟» سأل شقيقته، محطماً أفكارها المضطربة.

أطرقت برأسها. «نعم، لقد بقيت. أنا اعتدت على العمل وشعرت تماماً بحاجتي للثقة للإنتقال إلى مكان آخر. إنني لا أستطيع أن أبيع نفسي حتى لصاحب عمل غير ملحاح جداً. هذا ما أعنيه، يا شاكر. عندما انتهى جواد مني، شعرت بالفشل في كل طريق. و...» ـ تنهيدة يأسها كانت واضحة ـ «وكنت لا أزال مهووسة به. لقد كنت فقط بحاجة لرؤيته، رغم أنه خرج من حياتي».

«إذن هو ما زال يأتي إلى المكتب، وما زالت لديه الجرأة لمواجهتك؟»

«أوه، نعم. إن لديه مصالح في شركة والده ولذلك عليه أن يظهر بين الحين والآخر. أنا التي كان عليها أن تذهب، لكن لما أخبرتك، لا أستطيع أن أبعد نفسي. ربما هنا، معك أنت وغادة، سأتمكن من نسيان الماضي، ولو فقط لفترة. لقد تركت العمل الآن، على كل حال. لقد أعطيتهم إشعاراً منذ ثلاثة أسابيع. عندما أعود إلى بلدي ستكون بداية جديدة لي. يجب أن يحدث هذا، يا شاكر».

قال شاكر بإيجابية، «حسناً، إنك لن تجدي صعوبة في الحصول على عمل سكرتاري مع كل مؤهلاتك».

«لا، لن تكون هناك صعوبة. بعد هذه الإجازة من المحتمل أن أستعيد بعض الثقة».

شد شاكر على ذراعها. «ليس هناك من سبب يجعلك تعانين من نقص الثقة. أنت جيدة في كل ما تقومين به ـ لقد كنت كذلك دائماً».

نظرت مشيرة إلى شقيقها بابتسامة شكر. «لقد كنت طيباً معي دائماً، يا شاكر. لقد بدأت أشعر بصورة أفضل لأنني أخبرتك بهذه الرواية البائسة في حياتي. إنه نوع من شيء يجعلك لا تستطيع أن تثق بالعديد من الناس. أنت تعلم، أن قلبك قد أقفل الآن».

توقفت لحظة، وهي تفكر. «رسالتك وصلت في اللحظة المناسبة. الآن عندي أنت وغادة للتفكير بكما بدلاً من التمرغ بمأساتي. «أوه يا شاكر، إنني لا أريد أن أشعر بالحرارة مما حدث، لكنني أشعر بأنني لن أتمكن من الوثوق برجل آخر».

«قال شاكر بهدوء، «كل الرجال ليسوا كالرجل الذي شاء سوء طالعك أن تقعي في هواه».

«تنهدت مشيرة. «لا، لا أعتقد ذلك». إبتسمت لشقيقها بمودة. «أنت خير دليل على ذلك».

تلاشت إبتسامته، وعاد القلق إلى عينيه.

قالت مشيرة بسرعة لتغطية اللحظة الحرجة، «إنه لجميل أن أكون هنا. إنه مكان جميل جئت إليه ـ وهناك شخص ما يهتم. لقد كنت وحيدة ـ فقط أتجنب الناس منذ. . .»

إعترضها شاكر.

«هل جواد هذا أعطاك أي سبب لتصدقي. . .»

«فقط خاتم خطوبة ماسي جميل. لم أكتب ولم أخبرك ببساطة لأنني ـ حسناً، ربما اعتقدت أن النهاية لن تكون سعيدة».

«لماذا؟»

«لأن كل شيء بدا كاملاً تماماً. أنت تعلم، جيد جداً ليكون حقيقة. لقد كان ساحراً، خاصة للنساء؛ وهن يجدن أنه لا يقاوم. رغم ذلك، ما زلت أعتقد بأنه يكن لي عاطفة، لكنه بحاجة إلى مزيد من رأس المال لتوسيع مصالح أعماله. لم يعترف بأنه تزوج من أجل المال، لكنني متأكدة بأنه كان للمال دور رئيسي في زواجه».

عبس شاكر بغضب.

«أي خير سيفعله ذلك المال؟»

«إنه سيعطي منفذاً لمشاعري». أضاف بحرارة، «من الخير أنك هنا ولن نضيع مزيداً من الوقت في التحدث عن ذلك الوغد. لقد كنت دائماً أتعجب كيف كانت تسير

أمورك. أعتقد أن ذلك يعود إلى أننا كنا ملتصقين معاً عندما كنا أطفالاً، أليس كذلك؟»

أطرقت مشيرة برأسها بقوة. «نعم!»

سرحت أفكارها إلى أيام طفولتهما، لقد تركا يتيمين في سن مبكرة، وكان عليهما أن يعيشا عند عمتهما وزوجها اللذين إعتنيا بهما لكنهما لم يمنحانهما المحبة. عمتهما راغدة، إمرأة رصينة، قدمت لهما وجبات جيدة منتظمة، وأسرفت في لباسهما، واعتبرت أنها قامت بقسط غير عادل في الإعتناء بطفلين صغيرين.

زوجها، كان ذو طبيعة ألطف قليلاً، لكنه رجل هادىء، لأنه مرة واحدة أظهر إصراراً بوجوب إحتفاظهما بالطفلين، لأنهما، على كل حال، طفلي شقيقها الوحيد.

شاكر ومشيرة، أحسا بغريزة الطفولة أنهما كانا السبب الرئيسي في العديد من النزاعات التي برزت، فابتعدا قدر الإمكان. أصدقاؤهما القلائل منعا من إحضارهم إلى البيت. العمة راغدة كانت تحتج بأن أولئك الأطفال غير مرتبين وأحذيتهم وسخة وأنهم سيفسدون كل جهودها.

لذلك الأخ والأخت أصبحا يعتمدان أكثر فأكثر على صحبة أحدهما للآخر ـ على الأقل. إعتمدت مشيرة أكثر

فأكثر على شاكر. كانت لديه طبيعة التملك خاصة عندما يصر على أخذها إلى مباريات كرة القدم.

شاكر، لشدة دهشة عمته، لأنها كانت لا تثق بتقدمه العلمي، قام بخطوات كبيرة في المدرسة، وعندما غادر، في السادسة عشرة، حصل على وظيفة بمستقبل جيد. كان طموحاً، وجاداً في الحصول عليها، وعمل بجد وبالفعل سنحت له الفرصة ليحل مكان ممثل للشركة في سويسرا الذي كان سيترك.

شاكر إلتقى غادة قبل ستة أشهر تقريباً، واحتفظ لها بعاطفة عميقة، وقررا الزواج في الحال. وهكذا، معاً، أسسا بيتاً في سويسرا منذ ثلاث سنوات وكانا سعيدين بصورة مثالية...

تركت مشيرة المدرسة والتحقت بكلية السكرتارية، ثم تخصصت في الإختزال والطباعة، وحصلت على وظيفة سكرتيرة عند رجل يمتلك مؤسسة صناعية صغيرة.

مراد، صاحب العمل، رغم أنه في منتصف الخمسينات، فقد كان لديه نشاط رجل أصغر بحوالي عشرين سنة. لقد طلب الكثير من موظفيه ـ وحتى الكثير من سكرتيرته. أيام العمل بالنسبة لمشيرة كانت مليئة، لكنها استمتعت بالوظيفة وخططت للبقاء حتى تسنح فرصة أفضل.

قررت أن تستقل تماماً الآن لأنها تحصل أجراً، والآن شقيقها لم يعد يقيم معها، فاستأجرت شقة تبعد حوالي ميلين عن مكان عملها وتمتعت بالحرية. لكن، بالرغم من أنه كان في ذلك راحة لابتعادها عن النفور الموجود في بيت عمتها، فقد كانت أحياناً تشعر بأنها وحيدة.

أصبحت صديقة لفتاتين تعملان في مكتب ملاصق. باسمة وجميلة، وفي بعض نهايات الأسبوع كانت تدعى لبيتيهما.

إجمالاً، كانت حياة مثيرة سعيدة بشكل معقول، لكنها افتقدت شقيقها. خاصة في تلك الإجازات الإجبارية، بسبب العجز المالي، لتقيم في غرفتها الوحيدة على سطح بيت قديم كبير. والآن، ها هي ترى شقيقها ثانية بعد كل تلك الفترة، لكنها تدرك مدى فراغ حياتها عندما ابتعد عنها.

. . . لكن كم هي تفتقد جواد. لقد كان هو الذي أدخل السعادة لحياتها ومن ثم تركها لتصبح فارغة وحزينة بشكل لا يطاق.

عندما دخل إلى مكتبها لأول مرة في أحد أيام الربيع منذ سنتين، أحست بقلبها يقفز عند رؤيته. من كان هو لم تكن لديها فكرة ـ فالأمر لا يهم. كل ما كان يمكنها أن تسجله هو مغناطيسيته.

لقد سأل عن مراد وقد أعلمت الشاب إذا كان بإمكانه أن ينتظر بضع دقائق لتحاول الاتصال به. وفي تلك اللحظات القليلة تحدثا. لم يعرفها عن هويته، لكن بعد بضعة أيام كان عليها أن تعلم بأنه كان إبن صاحب العمل.

منذ ذلك اليوم قام بزيارات متكررة للمكتب، أحياناً لمناقشة قضايا العمل لكنه كثيراً كان لا يرى مثيرة. وفي خلال أسبوعين كان يدعوها لتناول العشاء ـ تلك كانت البداية. . .

لكنها لا تريد أن تفكر أكثر من ذلك الآن. على كل حال هي الآن مع شقيقها ـ يجب أن تنسى الماضي وكل الأمل الذي كانت تتمسك به وأن تبذل جهدها من أجل الحاضر. . .

إقتحم شقيقها أفكارها:

«هل تفكرين بالوالد والوالدة؟»

«ليس تماماً، لكن عندما كنت صغيرة جداً، أليس كذلك؟ لقد حاولت أحياناً، لكن كل ما أستطيع أن أتذكره الآن هي صورتهما التي تحملها أنت. إنني أشعر بالأسى، لأن كل ما يعنيانه لي، فقط صورة!»

«حسناً، نحن كلانا نشعر بالأسى على كل حال. لقد كنت في الخامسة عندما فقدناهما»

«وأنت كنت في العاشرة. لقد تعلقت بك بعد الحادثة. هل تعلم أنني كنت أخاف من السيارات لسنوات بعد ذلك؟ إنني أستطيع أن أتذكر فقط أنهما كانا في واحدة عندما قتلا».

«وعمتك راغدة لم تكن متفهمة بصورة خاصة، أليس كذلك؟ هل شاهدتها مؤخراً؟»

«لا. لقد ذهبت لرؤيتها هي وزوجها منذ حوالي ستة أشهر، لكن الزيارة لم تكن ناجحة تماماً. العمة راغدة أكثر استبداداً من قبل، إذا كان ذلك ممكناً!»

بدا شاكر جدياً. إنه فقط يستوعب نصف كلمات شقيقته. القسم الأكبر من أفكاره مع غادة. صب لنفسه كأساً أخرى، قائلاً: «ربما هذا سيساعد. إنني على الحافة».

«ألا يمكنك الإتصال هاتفياً بالمستشفى؟» سألت مشيرة.

«لقد اتصلت منذ حوالي ساعة. لا تغيير. لقد أخبروني بأن أترك الأمور على حالها حتى الصباح».

«هل يمكننا أن نزورها عندئذٍ؟»

«يمكننا أن نزور، لكنهم قد لا يسمحون لنا برؤيتها. الله يعلم لماذا. إنني قلق وخائف. إنها تريد هذا الطفل».

«رفّه عن نفسك. الأطباء يعرفون الأفضل. هل تدرك أنني قريباً سأصبح عمة؟»

«وأنا سأصبح أباً».

«خير لك. ماذا تريد، يا شاكر، طفلاً أم طفلة؟»

«إن كل ما أريده هو غادة»، قال شاكر وغرق في الصمت.

بعد يومين توفيت غادة...

عبر الأسابيع والأشهر التالية، شاركت مشيرة بكل القلق لوفاة غادة مع شقيقها، وفي نفس الوقت تحملت مسؤولية الطفلة. شاكر، غارق في الحزن، لم يكترث لما كان يجري حوله. غرق في دوامة خلال الأيام، لا يهتم بشيء. في الليل كان يغرق في النوم، ويستيقظ مضطرباً.

منح إجازة مرضية من الشركة، وهذا كان أمراً سيئاً لأنه أعطاه المزيد من الوقت ليتذكر. حاولت مشيرة أن تواسيه في اللحظات التي تكون فيها خالية من متطلبات الطفلة الصغيرة التي وضعت على عاتقها. هذه كانت طفلة غادة والآن، هي يتيمة، ويجب أن تلقى كل الإهتمام كما لو كانت والدتها حية.

وجودها في بلد غريب كان مشكلة إضافية لمشيرة. هنا، عليها أن تتعلم عادات جديدة، ولغة جديدة. لكن

قلقها الرئيسي إستقر على شقيقها. إنه لم يحاول أن يخرج نفسه من مأساته، تاركاً الأيام تمر بدون اهتمام، محتفظاً بصمت عابس بحيث كان من المستحيل إختراقه.

لقد ترك كل شيء على شقيقته، وكان يقضي الساعات في غرفته يستعيد آلام مأساته وتعاسته.

مرت عشرة أسابيع قبل أن يتخذ قراراً مفاجئاً بالعودة إلى مكتبه، فشعرت مشيرة بموجة أمل. هذه كانت الخطوة الأولى ليعود إلى طبيعته. تدريجياً سيعتاد على فقدان غادة ويعود إلى خضم الحياة.

في ذلك الصباح، عندما غادر في سيارته إلى مكاتب الشركة على بعد حوالي عشرين ميلاً، تنهدت وشعرت بالراحة. وعندما عاد في ذلك المساء بدا، لأول مرة، كأنه على طريق الشفاء.

أعدت مشيرة وجبة خاصة له، وقضت بعض الوقت في السوق حيث اشترت الأطعمة التي تعرف بأنها ترضيه.

لقد تأثر بالجهود التي قامت بها حياله ولأول مرة شكرها على كل ما قامت به خلال الأسابيع الماضية. لقد بدا مدركاً، أخيراً، كم هي عانت دون أن تتذمر، من عاداته، وصمته، وعدم إكتراثه.

لم يظهر مرة أي نوع من الحنان حيال طفلته، ولم يحملها مرة بين ذراعيه. غداً، قررت مشيرة بحزم، أن تحطم ذلك الحاجز. لكن عليها أن تتقدم بحذر في خططها، لأن حركة خاطئة قد تضر أكثر مما تنفع.

في مساء اليوم التالي عندما عاد من مكتبه كانت تنتظره والطفلة بين ذراعيها. ولأول مرة نظر إلى الإبنة الصغيرة باهتمام. لكنه عندما تكلم، شعرت مشيرة أن الإهتمام كان آنياً فقط. لقد قال بأسى:

«ما كان يتوجب عليك أن تقنعيني للإحتفاظ بها، يا مشيرة. كان يجب أن أستمر بعملية التبني. إنها ستكون أسهل بكثير».

«أسهل!» تعجب مشيرة كبت غيظها وضجرها. «تربية طفلة لن تكون سهلة، ولا يجوز لأحد أن يفتش عن أية طريقة سهلة، كما تريد. هذه طفلتك، يا شاكر، ولا يحق لك أن تحرمها من حقها في الحياة. لا أحد يستطيع أن يشعر نحوها مثلما يجب أن تشعر أنت. إنها من لحمك ودمك وأنت فقط ترفض الإعتراف بذلك ـ لأنك فقدت غادة. إن طبيعتك أنانية وندم ذاتي». ثم أضافت بهدوء، «أنا آسفة، يا شاكر، لكن يجب أن أقول لك هذا. إنه من المحزن جداً أن لا تكون لدى الطفلة أماً».

«إن من المحزن جداً فقد زوجة».

«إنها لم تكن غلطة الطفلة، حسبما تعتقد».

أطلق شاكر نظرة مباشرة على شقيقته. «ألم تكن غلطتها؟» قال بمرارة، وهو يستدير بعيداً.

قرّبت مشيرة الطفلة منها وقالت بحزم، «إنها غلطة قلب غادة الذي سبب كل المشكلة وخذلها في النهاية. يجب أن لا تضع اللوم على باب الطفلة. لا أستطيع ولن أسمح لك بذلك».

«الطفلة كانت سبب. . .»

«الطفلة كانت ما تريده غادة أكثر من أي شيء آخر. أوه نعم! يجب أن تكون قد عرفت المخاطرة، رغم أنك لم تفعل. لكن غادة كانت تتشوق إليها ـ طفلتك. يجب أن تعرف ذلك!»

«من الذي سيعتني ـ بها؟»

«أنا سأعتني بها وكذلك أنت».

«هل حقاً تنوين الإقامة هنا؟ تتخلين عن طريقتك في الحياة من أجل طفلة؟»

«لطفلتك، نعم. هيا اخرج منها، يا شاكر. حتى أنك لم تعط ابنتك إسماً بعد».

إستدار وكان صوته مراً.

«ألم يخطر ببالك بعد، أنني لا أهتم؟»

«إذن يجب أن تتعلم كيف تهتم. لقد عادت طفلتك إلى البيت من المستشفى بعد ثمانية أسابيع. لقد نجحت وربحت معركتها في الحياة. هي الآن بحاجة لإسم، وبحاجة إلى عائلة والأهم من ذلك كله، هي بحاجة إلى العطف. كلانا نعرف معنى ذلك».

«ليس عندي ما أعطيها إياه».

«أوه، نعم، لديك، إذا نظرت بصورة واقعية».

«أقول لك، أنني أصبت بالجفاف في داخلي. لا أستطيع النظر إليها لأنني ـ لأنني ما زلت أفكر بغادة. حاولت أن لا أفعل، لكنني أعلم أنه لولا هذه الطفلة لكانت غادتي ما تزال حية. أنا. . .»

متعاطفة معه، وهي تعرف عمق حزنه، إحتفظت مشيرة بصبرها. قالت متوسلة:

«يا شاكر، أنا أعلم فداحة ذلك بالنسبة إليك، لكن عليك أن تستجمع قواك من أجل غادة. لا تهمل هديتها الثمينة الأخيرة لك، إن ذلك سيحطم قلبها إن هي عرفت. لماذا لا تسمي طفلتك الصغيرة غادة، باسم والدتها؟»

«هل أنت حقاً تؤمنين بإدارة حد السكين؟»

«إنني أؤمن بالمستقبل وما أريده أن يكون».

«إمنحيها إسماً إذن».

«سأدعوها غادة»، قالت مشيرة بحزم. «إنه إسم المرأة

www.rewity.com

لكن البيت، في تيرانو، كان منعزلاً، ويقع عند نهاية الوادي. من فوق سطحه يستطيع المرء أن يرى شريطاً من الطريق يطل من بين الأشجار الباسقة. لقد جرت العادة أن يصعد شاكر إلى الطريق ويضع بعض الزهور على ضريح هناك، وهو في طريقة إلى المكتب. مشيرة والطفلة كثيراً ما كانتا لوحدهما.

مع مرور كل يوم كان حب مشيرة للمكان يزداد وقد وجدت الكثير للقيام به في الحديقة الواسعة. بالطبع الطفلة كانت بحاجة إلى عناية خاصة. لقد اشترى شاكر كل شيء للطفلة، لكنه نادراً ما يعود إلى البيت لفترة طويلة. رحلات عمله بدأت تطول، وقد بدا بعيداً بصورة ثابتة.

عامل مشيرة بكل محبته الأخوية السابقة. لكن بدا أنه، بالنسبة إليه، غادة لا وجود لها. لقد كانت أشبه بحيوان صغير، يطعم ويعتنى به. بالنسبة للشعور الحقيقي فلا وجود له.

كان من الممكن أن تكون وحيدة. فمشيرة ترى بعض الناس. كان هناك صاحب قطيع، حطاب أو اثنان، وأحياناً جماعة من الإيطاليين يغنون وهم يصلحون الطريق. أحياناً يرى المرء بعض السائحين الذين يأتون للإقامة في فندق الوادي الذي يقع إلى الشرق. الثلج

المحيط والقمم المكسوة بالجليد دائماً تجلب المتزلجين، لكن الفندق الذي تستطيع أن تراه مشيرة قابعاً بين قطعة سوداء من أشجار الصنوبر، كان يديره أشخاص لا يهتمون بالرياضة.

قال شاكر مرة: «أعتقد أن لديهم ضيوفاً دائمين وكذلك جمهور الإجازة. عندهم المؤلفون، والموسيقيون، والفنانون وحتى واحد أو اثنان من كتاب المسرحيات».

«هل تعرف المالك؟»

«نعم، في الواقع أعرفه. إنه أجنبي، وهو مثل كلب أشعث».

«يبدو أنك لا تميل إليه كثيراً».

«إنه جيد، على ما أعتقد. لقد أعجبت به غادة. كانت فعلاً تريد أن تحاول التعرف عليه بعد ولادة الطفلة. في نفس الوقت كان السير إلى هناك صعباً عليها، كما تعلمين».

«ما هو شكله؟ عجوز، شاب، بشع، جميل؟»

«إنه جميل بطريقة ما. يرتدي نوعاً ما ثياباً متطفلة على الفن. إنه لا يبدو أجنبياً بالفعل. إنه أسمر كأنه عربي. إنه أكبر منك قليلاً على ما أعتقد».

«وماذا يفعل، أعني عدا ملكيته لفندق الوادي؟»

«يشخبط قليلاً في الكتابة. أعتقد أن لديه كتاباً أو اثنين

متشورين. لست أدري عن ماذا يكتب. إعتقدت غادة أنها ربما روايات ملونة. إنه بكل تأكيد يحيط نفسه بأشخاص ملونين».

«أريد أن أقابله».

«ستفعلين ذلك يوماً ما. أعطني بعض الوقت لتفريغ نفسي. بصراحة، إنني فقط لا أميل لزيارة الناس بعد. إنني أحاول أن أتقبل، لكن مع مرور الأيام يبدو أن فقدي لغادة من الصعب تحمله».

إنها تستطيع أن تتفهم كيفية شعوره. كل ما أحبه وتمناه قد أخذ منه. هو وغادة كانا مناسبين تماماً لبعضهما... سعيدين معاً بصورة مثالية. لكن الحياة عليها أن تستمر ـ العالم لا يتوقف بسبب مأساة واحدة. ومع ذلك عندما المأساة أصابت حياتها فإنها لم تكن ترغب في الإستمرار. لم يعد هناك شيء يدعو للإستمرار... ومع ذلك فإن الزمن قد خفف الأسى رغم أنه لم يستطع أن يزيله تماماً.

«هل فكرت بترك هذا المكان؟» سألت شقيقها.

نظر من النافذة وقال: «لا. كل ذكرياتي السعيدة هي هنا... وهي كل ما بقي لي».

«لكن بداية جديدة، تغيير؟»

«سأقيم هنا في الوادي»، قال بهدوء، «لأنني أسمع صوت غادة في كل مرة أستمع فيها للأجراس».

في تلك اللحظة إستيقظت الطفلة وبدأت تبكي. عبس شاكر ووقف في مكانه. ذهبت مشيرة إلى الطفلة وحملتها.

«إنها جميلة جداً، يا شاكر».

«هل الأطفال جميلون دائماً؟»

«بالطبع، وطفلتك أجملهن جميعاً. أرجوك أن تنظر إليها، يا شاكر. إنها لا تقاوم».

«لا أستطيع. آسف، لكنني لا أستطيع».

«لكن يجب عليك أن تتقبلها لبعض الوقت. لماذا لا تبدأ من الآن؟»

سار شاكر بدون رغبة ونظر، نظر فعلاً، إلى الطفلة. نظرت إليه بدون رغبة. وضع إصبعه في يدها الصغيرة، فأمسكته.

«إنها صغيرة عاجزة، أليس كذلك؟» كان صوته لطيفاً. «لكنني نادراً ما أستطيع أن أقول بأنها جميلة».

«إسمع كلامي، إنها جميلة. إحملها بين ذراعيك لحظة. إبدأ بالتعرف عليها. إنها إبنتك، يا شاكر. يجب أن تكون فخوراً بها».

بإكراه حمل شاكر الطفلة بين ذراعيه. ثم استدار واتجه بعناية نحو النافذة.

راقبته مشيرة. يجب أن يتعلم الاعتناء بابنته. نوعاً ما يجب أن يمحي المرارة من قلبه. إنه ينظر إلى الطفلة الآن

وتمنت لو ترى التعبير في عينيه. هل تقبل المستحيل أخيراً ـ بأن غادة قد ذهبت ـ وأن العاطفة التي وهبها لزوجته يجب أن تتحول الآن إلى الطفلة؟

إستدار شاكر بعيداً عن النافذة وتقدم إلى جانب مشيرة. إنفعالاته أصبحت تحت السيطرة الآن، لكنها تستطيع أن ترى بأن الحاجز قد تحطم وانهار. عينا الطفلة الزرقاوين الصافيتين نظرتا في عينيه فانحنى وطبع قبلة على خدها الناعم الجميل...

في السنوات الأولى من نمو غادة، أصبح لدى مشيرة بعض الوقت لتفكر بنفسها أو بمشاكلها الخاصة. كانت مسرورة لأنها منحت الطفلة كل المحبة التي كانت والدتها ستعطيها إياها ـ ربما أفسدتها قليلاً.

شاكر، أيضاً، أبعد حنقه عن ابنته، وكان فخوراً بتقدمها ـ حتى بخوف مفرط من سحرها. إنه كثيراً ما قال لمشيرة، «فتاتي تلك ساحرة. أينما ذهبت تتلقى نظرات الإعجاب والإهتمام».

ضحكت مشيرة. «إنها ستصبح ملكة جمال حقيقية ـ والطامة الكبرى هي عندما تصبح في سن تقبل فيه الخروج مع الشباب».

أطرق شاكر برأسه موافقاً، ونظر لشفيقته بمحبة. بدونها، خاف أن يفكر كيف كان يمكنه تحمل الحياة.

إتصلت ببيته، واعتنت بطفلته، حتى أنها قامت بالعديد من المراسلات له.

الزمن كان لطيفاً معها. السنوات العابرة لم تفسد شعرها الجميل، ولا خفت جمال عينيها الزرقاوين...

لم تشر إلى رغبتها في العودة إلى بلدها ولهذا كان لها شاكراً. لقد تقبلت سويسرا كموطن لها، وتكيفت مع عاداتها وشعبها. أحياناً كان شاكر يعجب، ربما، إذا كانت قد ضحت بالكثير من أجله. ليست لديها حياتها الخاصة، كانت دائماً منهمكة بكل ما هو ضروري له أو لغادة.

لقد ترك كل شيء بين يديها القديرتين، وهو يعلم أن قراراتها ستكون صائبة. جرت مناقشة تعليم غادة بينهما وقد توصلا إلى إتفاق متبادل. مدرسة صغيرة مختارة على مقربة من مكتب والدها كان الأختيار الأفضل.

وكانت غادة سعيدة. لم تعرف والدتها، لقد وفرا عليها إنفعال تلك الذكرى...

بدا أن السنوات تمضي بسرعة مذهلة. سرعان ما بلغت غادة سنوات المراهقة، وهي الآن في طور المرأة. عند السابعة عشرة كانت جميلة، تضج بالحيوية ومرح الحياة.

الفصل الثاني

خلال تلك السنوات السبعة عشر تغير الوادي بشكل ضئيل جداً. الشتاء كان طويلاً وقاسياً. كانت هناك مصاعب، وكانت هناك دائماً أخطار الطبيعة نفسها. عبر العواصف، والزوابع، والرياح العنيفة التي تزأر وتئن عبر قمم الجبال، كانت غادة سالمة وآمنة في تيرانو.

كان هناك مرح على الثلج العذري، وضحكات والدها وهما يرشقان رجل الثلج الذي صنعاه. كانت هناك العمة مشيرة الطاهية الممتازة، ولطفها، وفوق ذلك كله كانت هناك المحبة.

منحدرات الجبل العارية، والجدران الصخرية، والثلج وقمم الجبال المغطاة بالجليد أبداً جذبت المتزلجين، ومتسلقو الجبال وأحياناً أولئك الذين ينشدون الوحدة. اندمجت غادة بهم بكل حرية وضحكت كثيراً وكانت ضحكتها جميلة كأغنية الأجراس.

أحبت غادة الشتاء أكثر من أي شيء آخر، وطهارة الهواء والإنحدار العريض للثلوج التي لم يمسسها أحد. أحبت بهجة التزلج على المنحدرات والفرحة الموسيقية لركوب

الزحافة في ضوء القمر. إستمتعت بالشراب الذي يقدمه بلال في فندق الوادي. إختلطت بحرية مع الضيوف، لا أهمية ماذا ومن كانوا. إستمعت إلى الموسيقى وقراءة الشعر. أعجبت بالرسم وانضمت إليه، ولعبت دوراً في مسرحيات جديدة. لقد بدا أنها لمعت بالألفة والسعادة، وهكذا بدا أن الألفة والسعادة قد عادتا.

لم يكن الوادي هو أفق غادة الوحيد. كانت بصورة متساوية في البيت بين أشجار الصنوبر والمراعي، أو تسبح في البرك أو تزحف على سفوح الجبال. وغير بعيد، على الجانب الآخر كان هناك منتجع آروزا المختار. إنه يقبع في الغابة بين قنطرتي جبل عاريتين. هنا كان هناك شيء ما يناسب ذوق كل شخص.

السير في الطرقات المحاطة بالأشجار، صعود متسلقي الجبال من كل درجات الخبرة، بركة للسباحين وأنهار لصائدي الأسماك. وخلافاً لبيتها في الوادي، فقد أحبت غادة منتجع آروزا كثيراً.

الطريق هنا يهبط من الممر باتجاه الأخدود المثير للرعب حيث مياه الأنهار تندفع فوق الحجارة. بعد ذلك يأتي وادي نهر الراين العريض وكل جمال سويسرا بدا لغادة بأنه يغني في الهواء الصافي النقي.

في منتجع آروزا إلتقت غادة بلبيب. شاب طويل، أشقر وأزرق العينين مثلها، وبدا كأنه يمسك كل الربيع في يديه القويتين. لم تكن غادة تكن عاطفة نحو لبيب، لكنها أعجبت به بحيث أخذته إلى بيتها في تيرانو. بعد لبيب كان هناك جمال وبعد جمال كان هناك كامل.

ولكل واحد منهم كانت هناك تحية ودية من العمة مشيرة وترحيب رجل لرجل من والدها. وتحت ذلك كله أحست غادة بالخوف، وكانت شاكرة عندما يغلق الباب حالما يخرج الشباب.

بهذا كانت تفكر غادة عندما جلست في الوادي. إنني عالمهما، فكرت بتأمل. لو أن شيئاً مريعاً حدث لي فسيقتلان أنفسهما. إنهما يحبانني كثيراً. إنهما يعيشان من خلالي. إنني أحبهما، لكن هذا الإعتماد عليّ كله خطأ.

إبتسمت وهي تتخيلهما معاً. السنوات كانت كريمة لهما. مشيرة ما زالت نحيلة، ناعمة، وجميلة جداً. شاكر كان منتصباً وجميلاً كما كان دائماً.

رغم كل هذا، إعتقدت غادة، فإنهما أشبه بشخصين نائمين. إنهما يقيمان هنا ليهربا من العالم الخارجي. كلاهما تضررا بشكل مخيف وهما خائفان من مواجهة الحقيقة لأنهما قد يتضرران من جديد. إنني أحبهما كثيراً

لأسمح لهما بالإستمرار هكذا. أريد أن أراهما سعيدين، سعيدين حقاً. ماذا يجب عليّ أن أفعل حيال كل هذا؟ كيف سأبدأ؟

قفزت واقفة على قدميها وبدأت تسير عبر الوادي نحو فندق بلال. الشمس حولت شعرها الذهبي إلى فضي، وعينيها الزرقاوين عكستا زرقة السماء العميقة. نحيلة، لكنها ليست طويلة جداً، سارت بكل رشاقة.

وصلت إلى الفندق وبدأت تبتسم إبتسامة ذهبية، عريضة. وقف بلال عند البوابة وكان يلوح لها. لوحت له وأسرعت نحوه. إبتسم عندما وصلت إليه، وفتح ذراعيه ومرجحها في الهواء.

«ها أنت هنا!»، قال لها، «وما زلت خفيفة كالريشة رغم أنك تأكلين كالحصان».

«حسناً، أنت تشرب كثيراً بحيث يمكنك أن تغرق سفينة حربية»، ردت عليه.

«إحدى سفن الأسطول السويسري؟»

«لقد كانت هناك مرة صدقت فيها كل كلمة قلتها. حتى عن الأسطول السويسري. لقد اعتدت أن أتخيله يبحر عبر البحار رافعاً أعلاماً حمراء. لكن بالطبع، يا عزيزي بلال، السن يجعل المرء يتعلم الحقيقة. لكنني إبتلعت كل قصصك عندما كنت طفلة صغيرة».

«أنت لست فتاة كبيرة حتى الآن، أليس كذلك؟»

«كبيرة وقوية كفاية لأغلبك في التزلج».

«ها! هناك حيث يحسب حساب الشباب، يا طفلتي».

«الأفضل أن تراقب ما تقوله عندما تكون العمة مشيرة موجودة. أنت أكبر منها بسنتين فقط».

«مشيرة لن تلاحظ مهما قلت. أعتقد أنها تنظر لي كنكتة بشرية من حجم مختلف!»

«إنك ستدهش. يا ما تحت السواهي دواهي!»

«حقاً؟» إبتسم. «لم أكن أعلم. لماذا تحدقين بي هكذا؟»

«آسفة، لم أكن أعلم بأنني كنت أحدق، يا بلال. لكنني مندهشة حيالك».

«حيالي؟ لماذا؟»

«لماذا تختبيء بعيداً في هذا الوادي؟»

«بحق السماء من الذي يختبيء؟ ألم أكن أنا أول من أخذك إلى الرياضة الشتوية في آروزا؟ ومن الذي يدعوك دائماً إلى الرحلات الأخرى العظيمة؟ من الذي يختبيء - ومن ماذا؟»

«العالم الخارجي ربما؟»

«هراء! أنا لا أختبيء عن العالم، حتى أنني لم أحاول. على أية حال، لقد اعتاد العالم أن يأتي إلى عندي».

«في شكل ضيوفك الأمميين؟ نعم، أعرف ذلك تماماً».

«حسناً إذن، ما هي المغالطة؟»

«لماذا جئت إلى هنا منذ البداية؟»

«الصحة - وتلك حقيقة».

«الصحة، أنت؟» إبتسمت إليه. «تبدو بصحة جيدة، كما أنت دائماً. وأكثر من ذلك، أنت جميل للغاية».

«الإطراء لن يوصلك إلى نتيجة، يا صغيرتي غادة. أنا أعرفك جيداً وأنت ترمين إلى شيء ما يقيدني. ما رأيك في المجيء والإنضمام لي لتناول كأس من هذا الشراب اللذيذ؟»

بدأت تسير إلى جانبه على طول الممشى الذي كان على جانبيه مساكب أزهار، وأعشاب وشجيرات تزينية.

«أنت جميل، يا بلال!» أصرّت.

«أوه يا عزيزتي غادة، أنت بكل تأكيد تهدفين لأمر ما».

«شعرك داكن جميل والخط الأبيض قرب صدغك يظهر إلى درجة كبيرة. تبدو مميزاً جداً. وأنت دائماً مرح وسعيد. أنت لطيف جداً، جداً».

«ها! الآن عرفت ما هو الأمر. أنت تريدين تحطيم بلال العجوز المسكين الذي لا يستطيع الدفاع عن نفسه. حاذري، يا طفلتي الحلوة، أنا بدون شرف. سأستفيد منك

بشكل حقير، لن أخاف، لكن تذكري، رغم كل سحري المميت، بقيت عازباً شريفاً».

ضحكت، ثم فجأة أصبحت جادة.

«هل يمكننا أن نذهب إلى عرينك بحيث نكون لوحدنا ونتحدث قليلاً؟»

«هل يمكنني أن أعرف عن ماذا تريدين أن تتحدثي؟»

«عن الوالد والعمة مشيرة»..

«هل هناك من أمر جلل؟»

«ليس معي».

«لكن مع شاكر ومشيرة؟»

«أنا ـ أنا أعتقد هكذا ـ مع أنهما لا يدركان ذلك».

«حسناً، دعينا نغلق على أنفسنا في العرين؟ سنتناول كأساً من هذا الشراب اللذيذ وأنت تتحدثين فقط».

دخلا إلى الفندق الكبير. كان مجهزاً ومصمماً بطريقة متوهجة. كانت هناك لوحات زيتية في كل مكان وكانت هناك واحدة أو اثنتان تساويان ثروة لو رغب بلال ببيعهما. بلال كان يعرف وكان أصدقاء مع كل واحد من الفنانين. عرفت غادة الكثيرين منهم.

عرين بلال كان غرفة كبيرة في الطابق السفلي. النوافذ تطل على الحديقة وكانت هناك ستائر مخملة معلقة. الأثاث كان ثقيلاً وذكورياً. مكتب ضخم من خشب البلوط

يسيطر على كل شيء في الغرفة. عليه آلة طباعة وصينية عليها نصف دستة من الأكواب. كانت هناك على الأقل أربعة منافض للسجائر. كان بلال يدخن كثيراً، لكنه قيل بأنه لا يستطيع التوقف عن هذه العادة حتى ولو كانت حياته تعتمد على ذلك.

صب لها كأساً. «هيا إشربي هذا، إنه لذيذ».

إبتسم. «هل ما زالت مشيرة تخمّر الشاي؟»

«على مدار السنة. في الداخل، على الأقل».

«وهل هذا خطأ؟»

«لا، نوعاً ما. إنه فقط ـ حسناً، أعتقد أن الوالد ومشيرة يجب أن يحيا أنفسهما».

«لكن لماذا؟ إنهما سعيدين، أليس كذلك؟ إنه ليس مفروضاً أن يجد المرء شريكاً كاملاً لنفسه في هذا العالم القديم».

«إنه ليس كذلك. يبدو فقط أنهما يعيشان من خلالي. أوه يا عزيزي، كيف يمكنك أن تفهم ما أحاول قوله؟ هذه المحادثة بدون أمل وصعبة! إنني أحبهما كثيراً ـ لدرجة أنه يؤلمني أن أراهما يضيعان حياتهما».

«كيف يمكن أن يكون ذلك؟ لقد كرسا نفسيهما لك، يا غادة. هل تسمّين ذلك إضاعة؟»

«نعم»، أجابت بهدوء. «عندما تعني إستثناء كل شيء وكل شخص آخر».

«كيف يمكنك أن تقولي ذلك؟ شاكر دائماً يعمل، أليس كذلك؟ الآن هو غني جداً، وأعتقد، أنه رجل ذو نفوذ. ما هو الخطأ في ذلك؟»

«ليس هناك من خطأ وأنا فخورة جداً بإنجازات الوالد. لكنني ما زلت أقول بأن أهدافه خاطئة».

«بأية طريقة؟»

«بدلاً من العمل لصالح الشركة، أو حتى لصالح نفسه، هو يعمل من أجلي. أفضل المدارس؛ وبكل تأكيد لا عمل لي. ليرى، في الحقيقة، أن الشابة غادة لا تريد شيئاً، وليست بحاجة لتقرر أي شيء - فقط كل شيء لأجلي!»

«لقد فهمت. وأين تأتي مشيرة في كل هذا الحديث الغامض نوعاً ما؟»

«هي أيضاً، تعمل وتعيش لأجلي».

«وما الخطأ في ذلك؟»

«أريدهما أن يعيشا لأنفسهما. أريدهما أن يكونا سعيدين. ماذا سيحدث لو أردت الإبتعاد؟ ماذا سيحدث لهما عندئذٍ؟ إنني أشعر بالمسؤولية حيالهما، وحيال سعادتهما».

«كما يشعرون حيالك، يا غادة».

«نعم. إنه أمر مخيف مع ذلك، بالنسبة إليهما للإصرار بأن تكون كل بيوضهما في سلة واحدة».

«أعتقد أنني فهمت ما ترمين إليه، لكنني لا أعتقد بأنك ستهربين وتتركينهما، وحتى لو فعلت، فهما ما زالا مع بعضهما، يا غادة».

«هل تعتقد بأن ذلك سيكون كافياً؟»

«إذا كان لا بد، نعم».

«هل هناك من بديل آخر لهما؟»

«تعنين، إخراجهما من صدفتيهما؟ هل بكل أمانة تعنين أن ذلك ممكناً؟»

«إن هذا يستحق التجربة، أليس كذلك؟» إنني بحاجة إلى مساعدتك. هل يمكنك القيام بعمل عظيم من أعمالك؟ أعدك بأنهما سيأتيان».

«ألم تعلمي بعد أن «أعمالي» كما تسمينها، أيتها الشابة غادة، هما بكل بساطة لا يدخلان فيها. المرة الأخيرة التي حضرا فيها إلى هنا كانت في العيد وماذا حدث؟»

تنهدت غادة. «لقد جلسا فقط وراقباني أمرح. لقد حضرا بكل بساطة لتأمين عودتي سالمة إلى البيت. وهذا كان خطأ».

«لكن لا يمكنك تغيير الناس».

«نحاول تغيير ما أصبحا عليه. إنهما لم يكونا دائماً كما هما الآن، يا بلال».

www.rewity.com

«حسناً، لا أستطيع إعداد حفلة حتى يأتي المزيد من الناس إلى هنا. لكن هناك جمهوراً هاماً سيأتي قريباً وأعدك بترتيب ذلك عندئذٍ».

إبتسامة غادة كانت عبارة عن الإرتياح والشكر. لقد كان بلال، فعلاً، برجاً من القوة. لكن لديها معروفاً آخر تريد أن تطلبه فقالت:

«يا بلال، هل بالإمكان أن تكون لطيفاً بصورة خاصة مع مشيرة؟ إنها لم تتمتع كثيراً ـ لتلفت إنتباه شخص ما يعني لها كثيراً».

«هل تعنين، أن أمرح معها؟ لقد حاولت مرة، منذ سنوات عديدة».

«أوه؟» لقد كان هذا خبراً لغادة. لمعت عيناها بالإهتمام. مع ذلك لم تستطع أن تتخيل ذلك، بلال يحاول المرح مع مشيرة ولا يلقي بعض النجاح على الأقل. إن بلال، مرح وجميل؛ بلال الذي لديه إبتسامة لا تقاوم.

«أخبرني عن ذلك»، سألت بفضول.

«أعتقد أنك تريدين سماع القصة. لكن يجب أن أعود قليلاً إلى الوراء لأصل إلى الجزء الذي يهمك».

«لقد التقيت والدتك مرة أو مرتين ووجدتها ساحرة جداً، جداً. لقد كانت طبيعتها هادئة، ومع ذلك تكيف

مع العديد من الشخصيات المعقدة الذين يأتون إلى هنا. كنت ستحبينها لدرجة العبادة، يا غادة».

توقف قليلاً، كأنه يستعيد ذكريات ما حدث منذ سنوات عديدة. «عندما سمعت عن حضور شقيقة شاكر إلى الوادي، كنت ـ مهتماً».

«تعني أنك كنت تريد أن تكتشف إذا كانت مشيرة تشبه غادة بطريقة ما؟»

«ربما. لقد جعلت همي الذهاب إلى تيرانو عدة مرات. ثم، عندما كانت مشيرة تستمتع بإخراجك في تلك العربة الصغيرة التي تستخدمها للأرض الوعرة، دعوتها إلى هنا. في ذلك الوقت وجدت أنها لم تكن تشبه والدتك أبداً، لكنها كانت جميلة حقاً».

رفع بلال حاجبيه. «لقد جاءت إلى هنا في زيارة هرباً من عاطفة ضائعة. كنت قد ولدت بعد بضعة أيام وعندما توفيت والدتك كرست مشيرة نفسها لك ولشاكر. لقد افتتنت بها. لكن كل اهتمامها كان مركزاً عليك وعلى احتياجاتك. إنها لا تطيق الإبتعاد عنك، ولم يكن لديها الوقت للتعرف على أي شخص آخر. لقد شعرت بالإحباط وخيبة الأمل. كانت فتاة جميلة، لكنها بعيدة ومنسحبة من كل الجهات. أنت ووالدك كنتما عالمها الخاص. كل العواطف التي تمتلكها كانت تتركز عليك».

«هل كان بالإمكان أن تكن لها عاطفة؟»

«هل يستطيع المرء أن يكن عاطفة للقمر؟ إنه بارد جداً على ما أعتقد، يا غادة، وبعيد جداً لا يمكن الإمساك به، كانت مشيرة هكذا، بعيدة. لقد فقدت عواطفها. لقد وجدتها فيك».

«لكن ألا يمكنك أن ترى، أن ذلك كان خطأ؟»

«ليس تماماً. مشيرة سعيدة وهذا يهم كثيراً. لا تبدين خائبة الأمل، يا غادة. أنا عازب، مولداً ونسلاً».

«لكنك تعتقد أن بإمكانك أن تكن لها عاطفة؟»

«ربما. منذ سنوات عديدة، لكن لا تحاولي إحياء الرماد».

«هل تعتقد بأنها تعلم؟»

«لا أستطيع القول. على كل حال، كل ملاك صغير عليه أن يجد سماءه أو سماءها. لقد وجدت سمائي في كتابة الكتب. كتب جميلة عن الجريمة هذا كل ما في الأمر».

«التي تباع مثل الكعك الساخن».

«من الطبيعي»، إبتسم. «يجب أن أحصل نقودي نوعاً ما. أصدقائي كثيراً ما ينسون دفع فواتيرهم».

«مع ذلك تسمح لهم دائماً بالإقامة».

«لأنهم أصدقائي وليس بينهم من لا يفعل نفس الشيء معي».

«أعلم. لقد التقيت معظمهم، هل تذكر؟»

«كنت أتمنى لو أنك قابلت ذلك الفنان». أشار بلال ناحية مخطوطة يابانية. «إنه يعرف الكثير عن الحياة، ومشاكلها، كبيرة وصغيرة. إن باستطاعته إيجاد الأجوبة لك، يا غادة. لقد مات الآن، وأنا ما زلت حزيناً».

جاءت دعوة بلال إلى الحفلة فقط بعد ثلاثة أسابيع من حديثه مع غادة. نظرت مشيرة إليها وتنهدت. شاكر، الذي كان يقرأ، نظر من فوق كتابه.

«ما هذه؟»

«حفلة أخرى من حفلات بلال المريعة».

«لكن غادة ستريد الذهاب».

«أوه نعم، ويجب أن نذهب. أريدها أن تستمتع بكل المرح هناك».

«لقد أفسدتها، هل تعلمين ذلك؟ أعتقد أنك تحاولين إلتقاط القمر إن هي طلبته».

«وأنت؟»

«إنها حساسة، يا مشيرة. وستتخذ الخيار المناسب».

«ماذا ستفعل بموضوع الحفلة؟»

«نذهب، بالطبع. ونعيش قليلاً».

«هل نحن بحاجة للعيش، يا شاكر؟»

ضحك على ذلك.

«يبدو أن غادة تعتقد هكذا. لقد أخبرتني بذلك قبل يومين».

«كانت تمزح!»

«لا أعتقد. لقد قالت بأننا ما زلنا شابين وشكلنا جميل جداً وقد حان الوقت لنبدأ البحث عن أمجادنا».

إبتسمت مشيرة. من الخير أن ترى شقيقها يبدو منشرحاً ـ وعلى استعداد للدخول في روح الأشياء. لقد أصبحا منعزلين تماماً كالنساك. حياتهما الإجتماعية لا وجود لها. لقد مرت سنوات حياتيهما بطيئة، وبوتيرة خاملة.

حقيقة المسألة هي أنه بوفاة غادة فإن شاكر قد جف ـ وعندما غدر جواد بمشيرة، أيضاً، تقهقرت منطوية على نفسها ـ متوهمة وحزينة.

لقد كان هناك، بالطبع، بعض التعويض. عندما غادرت وطنها لأول مرة، حاملة قلبها الحزين معها، بدأت مشيرة حياة جديدة. البداية كانت حزينة لا تحتمل، والمشاكل بدت أحياناً بأنه لا يمكن تجاوزها.

لقد كانت غادة هي تعويضهما الأكبر، بالطبع. يراقبانها تنمو من الطفولة إلى شباب المرأة وأنوثتها. لكن كانت هناك أشياء أخرى إستمتعا بها. شموخ الجبال، وأمن الوادي، وبيتهما...

كان يوم الحفلة صافياً. فرحت غادة. هرعت إلى المطبخ حيث كانت مشيرة تقلي البيض.

«لقد كنت أفكر، أيتها العمة مشيرة، هل يجب أن نذهب إلى المدينة ونشتري ثياباً جديدة لنرتديها؟»

«يا غادة، هل يجب أن تناديني عمة هكذا؟ إن هذا يجعلني أشعر بأنني قد أصبحت عجوزاً!»

قالت غادة والضحكة في صوتها. «عندما تجرأت مرة ونـاديتك مشيرة قيل لي أن هذا بعيد عن اللياقة والأدب ـ لكنني سعيدة لأحذف لقب عمة. أنت ما زلت صغيرة عليه، على كل حال».

قالت مشيرة بأسى، «لست شابة هكذا، لكنك كنت تتحدثين عن شراء ثياب جديدة. إن لديك أكواماً من الثياب!»

«عندي الكثير من الثياب، نعم»، أجابت غادة. «لكن حفلات بلال أنيقة جداً وأنا ـ أنا أشعر بأنني أريد شيئاً جديداً. وماذا عنك؟»

«أنا؟ أوه، أعتقد أن تنورتي السوداء وربما مع بلوزة صفراء».

«لكن يا مشيرة! التنانير كلها جيدة وتبدين فيها عظيمة، لكن هذه حفلة ليلية».

«لست أفهم ما ترمين إليه. على أي حال، ضيوف بلال

يرتدون الجيرسيه والجينز. إنه من الصعب التمييز بين الرجال والنساء».

«أريد شيئاً جديداً. هل ستأتين معي؟»

«حسناً، سآتي معك. لكننا سنتناول الفطور أولاً.»

إبتسمت عندما دخل شاكر إلى المطبخ. «الإفطار جاهز».

«حسناً. أنا جائع كالصياد. عندي أكوام من أوراق العمل لدرسها اليوم، لذا سأخرج باكراً».

«لا تنس الحفلة الليلة، يا والدي!»

«أوه يا إلهي، لقد نسيت».

«لقد وعدت!»

بعد الإفطار بقليل، إختفى شاكر في غرفته وأخذت مشيرة السيارة من المرآب. ثم مع غادة إلى جانبها ذهبتا إلى المدينة.

في اللحظة التي كانت فيها غادة تحدق بثوب جميل حقاً، إقتربت من الوجهة حيث كان يعرض الثوب وصرخت:

«أستطيع أن أراك في هذا الثوب، يا مشيرة. إنه بسيط جداً، لكنه أنيق».

الثوب ناسب مشيرة كالقفاز، عندما وقفت أمام المرآة في المحل. إن خطة غادة الكاملة هي أن تجعلها تبدو شابة ومرحة ـ تقريباً مثلما كانت من قبل ـ قبل جواد.

«يجب أن ترتدي عقداً من الياقوت»، قالت غادة.

«والآن دعينا نعود إلى البيت».

«لكن وماذا عنك، يا غادة؟ لقد اعتقدت أن فكرة هذه الرحلة هي أن تشتري شيئاً جديداً للحفلة؟»

«لقد غيرت رأيي. سأرتدي ثوبي الأبيض».

أخذتا طريقهما إلى السيارة وقادتها مشيرة على الطريق الجبلي. مجموعة من الطلاب على الدراجات لوحوا لهما فلوحت غادة لهم. واصلتا صعوداً. وصلتا إلى القمة ثم أخذت الطريق في الهبوط. في الأسفل البعيد يستطيع المرء أن يرى أشجار الصنوبر والقرى قابعة كالصيصان في العش.

بعد بضع كيلومترات عند ممر ضيق بين جبلين وقفتا مشدوهتين.

«إنها دائماً تذكرني بالطريق إلى جهنم»، قالت غادة.

«هكذا يصفها بلال».

«إنه دائماً جميل في حديثه، يا غادة. إنه كاتب جيد. لقد قرأت إحدى رواياته».

«واحدة فقط، يا مشيرة؟»

«كان فيها الكثير من القتل!»

«جرائم قتل جميلة، يقول».

«نعم! جميلة! حقيقية!»

www.rewity.com

«عندما تنظرين إلى بلال لا يمكنك أن تصدقي بأنه يكتب هكذا، أليس كذلك؟ أعني، لو أنه يكتب الكوميديا، أو حتى دراسات عن الشخصيات التي قابلها، فإن المرء يستطيع أن يتقبلها بكل سهولة. إنه مسلٍّ ولطيف. إنني معجبة به».

«أعتقد أنك معجبة بكل العالم، يا غادة».

«حقاً؟ حسناً أحبك لدرجة العبادة أنت وأبي، وبنسبة أقل الآخرون. يا مشيرة، أنا أريد أن أستمتع الليلة. وأريد أبي أن يرقص ويمرح أيضاً وكذلك أنت».

«ما هو المرح برأيك؟»

فتحت غادة عينيها.

«حسناً، فقط أن يمتع المرء نفسه! أعني، أنت عموماً تجلسين في الخلف وتراقبين الآخرين. الآن على سبيل التغيير أريدك أن تشتركي».

«بهذا الثوب»، قالت مشيرة، «إنني قد أفعل ذلك فقط».

إنعطفت الطريق مثل فتاحة الفلين. المشهد أصبح لطيفاً، والأشجار أكثر إخضراراً. وسرعان ما وصلتا إلى الطريق العريض المؤدي إلى سفح الوادي. شعرت مشيرة بالفرحة. العودة إلى البيت كانت مدهشة...

كانت الأجراس تقرع عندما ساروا عبر الوادي إلى الفندق. ثلاثتهم يفضلون المشي والمسافة كانت لا شيء بالنسبة إليهم. كانت أمسية دافئة والهواء معطر برائحة الأعشاب والأزهار البرية. قمم الجبال كانت مغطاة بالغيوم الوردية.

طيور الليل إنطلقت وحلقت في السماء كمضيفي الأرواح الصامتة. شمس المغيب حولت ريشها إلى مجوهرات برؤوس فضية. فراشات بيضاء وملونة حامت حول الأزهار.

كان جو الفندق عندما وصلوا أشبه بانفجار قنبلة. الموسيقى تصدح وتحطم سكون الليل. كان هناك حشد كبير وبين لحظة وأخرى كان يسمع هدير ضحكة بلال. عادةً مشيرة وجدت نفسها خائرة عند هذا الحد، لكنها هذه الليلة بدت مختلفة. كان يجب عليها أن تلعب دوراً من أجل غادة ـ وهذه الفكرة أثارتها. وجه شاكر الحجري لم يفعل شيئاً يثبط من عزيمتها. هو، أيضاً، قرر أن يفعل حسب رغبة غادة.

كان بلال أو من شاهدهم. سار عبر الغرفة المزدحمة ومرجح غادة بين ذراعيه عالياً ثم أنزلها وضحك مرحباً بمشيرة وشاكر.

«لقد كنت على وشك الإعتقاد بأنكم غيرتم رأيكم»، قال لهم، «وقد كان ذلك سيخيب أملي. الجيران قلة وبعيدون من هنا، أليس كذلك؟ إنني مولع بجيراني».

«ونحن مغرمون بك، أيضاً»، قالت غادة، «ونحب حفلاتك».

«نعم نحن كذلك، يا بلال». وافقت مشيرة، وهي تشعر بالإنزعاج لعدم ذكر الحقيقة.

إبتسم شاكر وأطرق برأسه وحاول عدم الإعتراض على قميص بلال الحريري الأصفر كثيراً.

«دعوني أقدمكم إلى هذا الحشد»، قال بلال، وبدأ يزمجر طالباً الهدوء.

بعد التعرف عادت الموسيقى الصاخبة.

«هل تسمحين لي بهذا الشرف، يا مشيرة؟» قال بلال.

إبتسمت له. «أرجو أن لا أدوس على قدميك»، قالت له، وهي تدرك أنها لم ترقص منذ زمن طويل.

ضحك. «سأنتهز تلك الفرصة»، وسحبها وراح يراقصها.

وبعد أن رقصا قليلاً على إيقاع الموسيقى قال لها: «إننا نعرف بعضنا منذ سنوات والآن فقط إكتشفت أن بإمكانك أن ترقصي!»

«ربما لم أشعر برغبة للرقص من قبل».

«والآن؟»

«الآن ـ لقد قررت أن أمرح».

«ظلال الشابة غادة؟»

«فكرة غادة الشابة».

كانت تنظر إليه وقالت دون سابق إنذار، «تبدو جميلاً جداً الليلة. جميل جداً».

«أشكرك ـ أنت جميلة للغاية ـ وأنا أحب بلوزتك».

شدها بلال نحوه وضحك. «على فكرة، هل شاكر مصمم أن يمرح أيضاً؟»

أطرقت برأسها. «إنه سيحاول، على أي حال».

إنتهت الموسيقى والراقصون عادوا إلى مقاعدهم. مشيرة وبلال إنضما إلى شاكر وغادة. كان شاكر يمسح جبهته بمحرمة. نظر إلى بلال وعبس.

«الجو حار، أليس كذلك؟»

«إخلع جاكيتتك».

«أوه، لم أعرف ذلك».

«هل ترتدي سوتيان؟» كان بلال يضحك وشاكر قبل التحدي.

«لا»، قال له. «أنا لا أرتدي سوتيان». ثم وقف وخلع

www.rewity.com

الجاكيت. وفي الحال بدا أنه أصغر بسنوات، وأكثر استرخاء.

«حسناً!» قال بلال. «الآن ستشعر أنك في بيتك. علّقها على المشجب. سأحضر لنا بعض الشراب.

وعندما سار بعيداً، نظر شاكر إلى غادة وغمز.

«حسناً، يا غادة، ماذا تفكرين بوالدك العجوز الآن؟» سألها.

«أعتقد أنك أجمل رجل في الغرفة. فقط أنظر إلى ذلك الرجل هناك!»

«ما شأنه؟ إنه يرتدي شوالاً؟»

«يبدو كالشوال، أليس كذلك؟ إسمه جليل وهو يرسم مناظر طبيعية وخيول، ويفضل الخيول على ما أعتقد».

«حسناً، بتلك اللحية وذلك الصندل يبدو كأنه من أتباع سيدنا موسى عليه السلام. مع ذلك، يبدو شاباً جذاباً نوعاً ما».

«هو كذلك»، كانت مشيرة هي التي تكلمت. عيناها كانتا تومضان، وخداها تورّدا. لقد كانت حقاً تستمتع بتلك الأمسية ـ وكان ذلك واضحاً. أضافت وهي تنظر إلى غادة،

«أريد أن أقابله قبل أن تنتهي الأمسية. يبدو أنه مهم».

عندئذٍ عاد بلال وعيناه تضحكان.

«لقد عاد الأستاذ من جديد. لم أعرفه يضيع فرصة. إنه سيقتل نفسه في النهاية».

«هل أذهب وأتحدث إليه؟» سألت غادة، لكن شاكر هز رأسه.

«لا، دعيه. إنه قد يبدأ بإحدى مسرحياته التي لا تنتهي ولن تتخلصي منه طول الليل».

«إنه مضحك»، قال شاكر. «لقد كنا جيراناً كل تلك السنين، ولم أقابل الأستاذ. ما هو اسمه الحقيقي؟»

«ليس عندي أي دليل. كل السنوات التي أمضاها هنا كنت أناديه يا أستاذ. لم يعطني أي تلميح عن هويته».

«كيف تعرفت عليه؟»

«أوه، كان ذلك منذ سنوات. لقد ذهبت إلى باريس، لأبحث حقوق البيع الفرنسية لأحد كتبي. لقد استفدت منه كثيراً من الناحية المالية، فقررت الإحتفال. لقد قابلت الأستاذ في إحدى الليالي. لقد كان يرقد في أحد مجاري المياه والناس يمرون فوقه. الشاب الذي كان معي عرف كل شيء عنه. لقد أخبرني أنه كتب مسرحيات غير قابلة

للبيع وأنه كان يفعل ذلك لسنوات. قيل أنه صرف المال القليل الذي كان لديه على الشرب. لقد كان واحدة من قصص الفشل الحزينة. لقد عمل بجد على المسرحيات لكنه لم يتمكن من بيعها. كان تقهقره الزجاجة...

لقد كان من المستحيل تجاهل ورطته. كان عليّ أن أفعل شيئاً، لذا رتبت له العودة إلى هنا معي. هذا المكان لن يكون نفس الشيء بدونه الآن. لقد أصبح تقريباً جزءاً من المشهد. إنني أحب هذا الشاب تماماً. إنه قلما يهبط إلى الأرض لوقت طويل. رأسه في السحاب مع شخصياته الخيالية، لكنه ثابت على المبدأ. أعترف له بذلك».

«كيف أمكنك التعرف على كل هؤلاء الناس؟» سأل شكر، وكان هناك اهتمام حقيقي في عينيه. «أعني، أنك بكل تأكيد لم تجدهم جميعهم في مجاري المياه؟»

«أوه لا! إنها فقط أنواع متطفلة على الفن ينتمون إلى دائرة نادرة نوعاً ما. نحن نتعلق ببعضنا نوعاً ما. كل واحد يعرف تكتكات الآخرين. ثم هناك مجموعات مختلفة من الكتاب ومجلات مختلفة منسوخة نساهم بها جميعاً أحياناً. لقد أصبحنا نعرف بعضنا وعن بعضنا. وهكذا كانت المسيرة».

«عبر العالم كله؟»

«تقريباً، على ما أعتقد. نحن نعترف بالقدرات الخلاقة لبعضنا مع أننا لا نفهمها دائماً».

«لكنك تختلط بالرسامين وكذلك بالكتاب».

«ما هو الفرق بين الكتابة والرسم عدا الكلمات؟»

«لست متأكداً بأنني أفهم».

«الفنان يستعمل الألوان للتعبير عن جمال الورد. أنا أصف نفس الجمال لكن بكلمات. نحن نستعمل وسائل مختلفة ربما، لكن النتيجة هي نفس الشيء. نحن نعطي تفسيراتنا الشخصية للأشياء التي نراها بطرقنا المختلفة، لكننا جميعاً تحت قشرة واحدة. وبالحديث عن الورد، هل التقيت رباب؟»

«لا أعتقد».

«حسناً يجب أن تقابلها. إنها عبارة عن شيء صغير تماماً تكرس حياتها لرسم الأزهار. سامحني على هذا القول، يا شاكر، لكنها أحياناً تذكرني بغادة تقريباً».

«أوه؟» قال شاكر بهدوء وشعر براحتي يديه تلسعانه كأنه يغرس أظافره فيهما. خيم صمت مقلق مفاجيء إلى أن بددته مشيرة بذكاء.

«إنني مسرورة لأن لديك شخصاً ما تريد أن تقدمه بلياقة إلى شاكر. بالنسبة لي، أنا متشوقة للتحدث إلى ذلك الرجل العظيم هناك».

«من؟ أوه جليل! إنه شخص عظيم، مهووس بالخيول».

«والنساء؟»

«أعتقد أنه مهووس بالنساء، أيضاً»، قال بلال وهو يبتسم بخبث. «إذا طلب إليك أن يريك أسنانه، يا فتاتي، فحاذري!»

«أقول»، قالت غادة بحماس، «أليس هذا مرحاً؟»

الفصل الثالث

كانت الحفلة لا تزال في أوجها عند الساعة الثالثة صباحاً. شاكر لم يعترف بذلك حتى لنفسه، لكنه كان متعباً. لقد رقص مع غادة ومشيرة. إنه الآن يراقص الفنانة فريدة، التي أكثرت في الشرب والتي قالت بدون إحساس أنها لا تكترث قيد أنملة بالعلاقات البشرية وأنها تعيش فقط لترسم الأطفال.

«إذن أنت تحبين الأطفال؟» سألها شاكر.

«نعم أحبهم».

«هل لديك أية أطفال؟»

المرأة ذات النظرة الغجرية حدقت فيه.

«لا! لا أستطيع أن ألد أطفالاً، ولهذا، تركني زوجي. وهكذا ـ أنا أرسم الصغار. وأنا أرسمهم بكل عاطفة».

توقفت الموسيقى وشاكر قاد فريدة إلى مقعدها شاكراً. كانت مشيرة تراقص جليل وغادة تراقص بلال. أقسم شاكر بنعومة لأن إمرأة أخرى كانت تتجه نحوه.

«أهلاً»، قال صوت أنثوي. «لا تقسم عليّ، لكنني أحب أن أرقص».

قفز شاكر على قدميه لتلبية الواجب.

«أنا داليا»، قالت المرأة ثم خيم صمت ثقيل. لقد بدا واضحاً أن المرأة تتوقع منه أن يعرف من وماذا تكون هي. نظر إلى نظارتيها، ومجوهراتها، وثيابها، وشعرها الداكن القصير الذي لاحظ أنه قد بدأ يشيب عند الصدغين.

«أنا آسف»، قال لها، «لكنني لا أستطيع أن أضع...»

«العواطف التاريخية، التي أكتبها»، قالت له.

«أوه، لكن بالطبع!»

«كاذب!» قالت داليا، بدون خبث. «معظم قرائي هم من النساء وليس عليك أن تحاول بأن تكون مؤدباً».

بقية الرقصة تمت في صمت مزعج. بعد ذلك بدا أن هناك سباقاً بين داليا وفريدة. بدأ شاكر يشعر أنه قيد الحصار. إنه يريد أن يعود إلى البيت. شعر بأنه كذكر الأيائل في خليج. لكنه فوق ذلك كله كان خائفاً أن يتذكر بلال ويقدمه إلى رباب. إنه لا يريد أن يقابل إمرأة تذكره بغادة.

توقف الرقص بعد ذلك بقليل وأطباق من طعام ساخن قدمت. بدأت أحاديث حية وابتسم شاكر لأن مشيرة، التي أصبحت الليلة مشيرة المتغيرة، كانت في خضم الحفلة تمتع نفسها إلى ما لا نهاية. كانت غادة عند الطرف البعيد من الغرفة تحادث شاباً. تذكر شاكر بأن بلال قال بأنه شاعر شاب.

كانتا كلتاهما سعيدتين بطرقهما المختلفة وليستا بحاجة إلى انتباه. تمنى أن لا يلاحظه أحد يتسلل بعيداً، ويخرج إلى الحديقة. الجو الدخاني كان كثيراً في الداخل، والأحاديث لم تكن من النوع الذي يهمه.

الورود كانت مبللة بنور القمر. السماء كانت متجلدة مع غيوم فضية. الجبال تظهر في الأفق كأمواج ضخمة في عنان السماء. وجد شاكر مقعداً في الحديقة وجلس عليه.

هذه الليلة كانت من النوع الذي يحبه هو وغادة. كانا يسيران يداً بيد في الوادي تحت ضوء القمر ويتحدثان. كانت عيونهما تبتسم وتشعر بالعاطفة. كان شاكر يقول لها أن تنتبه لنفسها. لقد رحلت، وكثيراً ما تمنى لو أنه استطاع أن يرحل، أيضاً.

أفكاره المتكدرة إعترضها صوت أنثوي هادىء. «أنا آسفة. إنني لم أشاهدك جالساً في الظل».

بسرعة أعاد نفسه إلى الحاضر، ونظر إليها معتذراً. «أرجو أن لا أكون قد أفزعتك». عيناها اللتين لاحظهما كانتا داكنتين، تقريباً كشعرها الداكن. وكانت ترتدي ثياباً عادية، جينز وقميص.

إبتسمت. «أوه لا! لقد كانت مفاجأة، هذا كل شيء. لقد خرجت إلى هنا لأستنشق بعض الهواء النقي. المكان مزدحم جداً في الداخل».

«إنه كذلك»، قال موافقاً، «لكن ألا تجلسين؟ المكان آمن هنا ـ في الداخل كل شخص يحاول أن يمتع نفسه».

«كيف تمتع نفسك؟»

«أنا؟ أوه أنا من النوع الهادىء. أحب المشي، وصيد الأسماك، ربما، فقط لإيجاد الوقت للوقوف والتأمل».

«إذن لماذا هذه الحفلة؟»

«إبنتي أرادتني أن أحضر».

«غادة؟ إن لديك إبنة جميلة جداً».

«كيف عرفت أن. . .»

المرأة الشابة ضحكت بنعومة.

«أنت الرجل الوحيد الذي أعرفه هنا ويعترف بأن لديه إبنة شابة. علاوة على ذلك رايتكم وأنتم تدخلون. كم تتشابهان أنت وشقيقتك!»

«كل شخص يقول ذلك. غادة تشبه والدتها».

«بمن كنت تفكر الآن؟»

«كيف عرفت؟»

«لقد كان ذلك بادياً على وجهك. لقد كنت تتذكر وتشعر بحزن عميق. كنت تشعر بالوحدة وبعيداً عن الأشياء. أنت تنتمي لهدوء البحيرات العميق وتجد نفسك في بحار هائجة حيث يصعب الذهاب».

«كيف تعرفين؟ هل يؤثر ذلك عليك، أيضاً؟»

«يا إلهي، لا! أنا واحدة من الجمهور، على الأقل أعتقد أنني كذلك».

«أنت شابة جداً لتكوني هكذا عميقة القرار».

«هذا لطف ضوء القمر». ضحكت بعذوبة. «أنا لست هكذا شابة».

«إنك تقرائين أشياء في وجهي»، قال لها. «مع ذلك عندما تكلمت في البداية زعمت أنك لم تشاهديني جالساً هنا».

«أعرف. لقد كان أول شيء تبادر إلى ذهني. إنني بكل بساطة أردت أن أحطم أفكارك الحزينة. حزن الآخرين يجعلني أشعر بالحزن، أيضاً، وهكذا ترى، أن حوافزي كانت محض أنانية».

«أجد صعوبة في التصديق»، قال لها، «بأنك لست شابة حقاً. بالفعل، أشعر بأنني يمكن أن أكون والدك».

«لو كنت والدي ـ قد لا أكون واحدة من الجمهور.»

«لكن غادة. . .»

«تتمتع بكل شيء، لكنها ليست واحدة منا. إنها حقاً إبنة أبيها. إنها ستتزوج شخصاً يشبهك على ما أعتقد. أو على الأقل شخصاً تعتقد وتريد أن يكون مثلك».

«هذا لا ينطبق تماماً».

«أوه، لكنه ينطبق. المرأة تكن عاطفة لرجل معين لما تريد أن تجده فيه، وليس دائماً لما هو عليه».

www.rewity.com

«مرة أخرى غموضك يحيرني».

«في عملي المرء يحتاج للتفكير العميق، لتحليل، وتفسير عواطف المرء حيال شيء معين. أتحدث عما أجده، هذا كل شيء».

«وعملك هو؟»

«إنني فنانة. آمل أن أصبح فنانة أفضل مع كل صورة أرسمها».

«أي نوع من الصور ترسمين؟»

«أرسم الأزهار. أرسمها من يوم ولادتها، وفي كامل تفتحها، وعندما تموت. إنها حقيقية وحية كالبشر. وهي جميلة جداً».

«أنت رباب»، قال بهدوء. «إنني سعيد للقائك».

«هل تريديني أن أستمر؟»

«أرجوكي أن تفعلي. يجب أن أعترف بأنني لم أفكر بالأزهار هكذا. لكن الرجال لا يفعلون، أليس كذلك؟»

«لقد عرفت رجالاً يجدون الجمال في أغرب الأشياء، ورجالاً يمكنهم أن يهبوا حتى صندوق النفايات نوعاً من الروح عبر فنهم الأصيل».

«لكنني لست على شاكلتهم، إنني رجل أعمال».

«إذن يجب أن تجد نوعاً من الجمال في الأرقام، في المشاكل، في وزن الأجوبة».

«أجد معظم مشاكلي مزخرفة بالضرر»، قال، ووجد نفسه يبتسم، يبتسم حقيقة لأول مرة في تلك الأمسية.

«كما ترين، لا روح عندي!»

«إن لديك روحاً ومقدرة عظيمة للعاطفة. لكنك كنت نائماً لفترة طويلة من الزمن».

«لسبعة عشر عاماً»، قال موافقاً، «وإذا كان فقد شخص ما والحزن لأجله هو نوم، فما لا شك فيه بأنني سأنام حتى أموت».

«إن للعاطفة سطيحات عديدة».

«أعلم».

«الحياة نفسها لها سطيحات عديدة».

«أعلم ذلك، أيضاً».

«وأنت رفضت تلك المعرفة؟»

«لقد رفضت كل ما ترمز إليه».

«مع ذلك جئت إلى هنا بسبب عاطفتك لغادة. تتحدث معي، وترقص مع الأخريات، تلك هي الحياة. إنك لست نائماً الآن. هل تنوي العودة إلى سابق عهدك حالما تنتهي الحفلة؟»

«بصراحة لا أدري. إن المأساة تركتني بارداً كالصخر، لكنني لن أفتقد هذه المحادثة معك بكل ما في زجاجات الشراب في الأرض».

«لماذا؟»

إبتسم ثانية.

«بصراحة لا أدري!»

«بدأت الموسيقى من جديد. هل تريد أن تدخل؟»

«هل ترقصين؟»

«ليس بصورة جيدة جداً. أفضل البقاء هنا».

«إذن سنبقى. أخبريني عن نفسك».

«ليس لدي الكثير لأقوله. الشيء الوحيد هو أنني جيدة في الرسم. لقد نسيت الأشياء والأماكن والناس. أريد أن أتعلم أشياء، لكنني أجد التعليم صعباً. إنني سيئة للغاية في الحفاظ على المواعيد لأنني عادةً أنسى أنني حددتها من البداية. لقد اعتدت أن أسبب الجنون لعائلتي بسبب طرقي الحالمة».

«عائلتك؟»

«لقد ولدت وترعرعت في عائلة نموذجية جداً. رسمي كان بالنسبة لهم نوعاً من اللعب. أحياناً أعجب كيف ولدت في عائلتي. لقد كنت مفلسة تماماً لفترة طويلة».

«والآن؟»

«الآن دراسات أزهاري مقبولة. أستطيع أن أطلب السعر الذي أريد. إن عندي وكيلاً يتولى الجانب العملي ويراعي حصولي على الكثير من العمولات. ليست عندي شكاوي. حياتي مليئة».

«هل أنت متزوجة؟»

«لا».

«هل غرقت مرة في عاطفة؟»

«لم أغرق أبداً في العاطفة. حتى حياتي الشخصية، كما ترى، هي نوعاً ما غير نموذجية. أتسبب في نزاعات، وبعد ذلك أعرف وأعترف بالإنفعالات التي شعرت بها حيالها. لا أعتقد أن بإمكاني الإستقرار مع رجل واحد. إنني أخاف أن أشعر بالضجر، أو أن ذلك سيصبح مضجراً بالنسبة إليه. بطريقة ما، أعتقد بأنني جبانة بالنسبة للعلاقات البشرية».

«بعبارة أخرى أنت كالفراشة تطيرين من زهرة إلى زهرة».

«برؤية كيف أحب الأزهار»، قالت بتفكير، «أعتقد أنني عرضة لذلك».

«غادة، زوجتي، كانت مولعة جداً بالأزهار. إنها لا تقطفها. الآن أستطيع أن أرى ما عناه بلال».

«بلال؟»

«لقد قال بأنك تذكرينني بغادة في بعض الطرق. لقد كنت أحاول إكتشاف ما يعنيه بالضبط».

«وهل اكتشفت؟»

«لقد وجدت أنك أنت نفسك تماماً. إنني أعرف القليل عنك، لكن يهمني جداً معرفة المزيد».

«إذن يمكن أن نكون صديقين؟»

www.rewity.com

«إنه ليشرفني أن أكون في عداد أصدقائك».

«حسناً!» قالت، «الآن نستطيع حقاً أن نبدأ في التعرف على بعضنا. هل نعود الآن؟ أعتقد بأنني أرغب في أن تعلمني كيف أرقص؟»

الموسيقى المسجلة عزفت لتقابلهما، لكن شاكر الآن كان يبتسم ولا مانع لديه. إنه لا يمانع أبداً...

لم يكن يريد لقاء هذه المرأة. الآن لا يريد أن يدعها تذهب. إنه سيرقص حتى الفجر إذا كانت هي رفيقته. لأول مرة، في كل السنوات منذ وفاة غادة، تحركت عواطفه. هذه المرأة الذكية، بمثل هذا الحب للجمال، وبمثل هذه الموهبة للتعبير عنه في فنها، قد فعلت لأجله أكثر مما كان ممكناً أن يحلم به.

في صبيحة اليوم التالي، الأحد، بزغ الفجر بوهج المجد. تمطت غادة، وابتسمت، ونظرت عبر نافذة الفندق. والدها وعمتها قد متّعا نفسيهما! لقد دخلا في أرجوحة الأشياء. إنهما الآن ينامان بسلام في الغرفتين اللتين خصصهما لهما بلال. لأول مرة في حياتهما يقضيان ليلة بعيداً عن تيرانو.

تسللت غادة من الفراش، وارتدت معطفاً بيتياً وذهبت إلى الحمام لتغتسل. لقد تأخرت كثيراً في نومها، لكنها شعرت بالإنتعاش كعادتها كما تفعل عند قضاء أمسية

إسترخاء. وفي يوم جميل كهذا، إعتقدت، فإن من المؤسف إضاعة لحظة.

منتعشة عادت بعد بضع دقائق إلى غرفتها وارتدت ثيابها، وأفكارها ما تزال مشغولة بالليلة السابقة. لقد كانت ناجحة فعلاً! في قلبها شعرت ببعض الشك إذا كان والدها وعمتها سيدخلان في روح الأشياء، لكنهما دخلا! ولأول مرة، ظهرا بأنهما يعبّان الحد الأقصى من متعة المناسبة.

لقد غادة كيف كانت أمور والدها تسير مع رباب. لقد رأتهما يرقصان معاً والنظرات التي تبادلاها لم تكن تنقصها المحبة. أي ندين مناسبين سيشكلان، فكرت غادة. لو أن والدها تزوج من رباب، أو من واحدة أخرى من نوعها، فإنه سيكون رجلاً سعيداً من جديد، يعيش حياة كاملة مليئة بدفء العاطفة المحيطة به.

والعمة مشيرة بدت جميلة حقاً في ثوبها الجديد. ذلك الشراء الباهظ الثمن يستحق كل فلس. لقد استطاعت أن تتألق على كل واحدة وقد برزت وهي تضحك وتتحدث مع جليل وبلال. أوه نعم، لقد كانت أمسية مدهشة وغادة تفاخر نفسها كيف استطاعت ترتيب وإنجاز ذلك.

هبطت السلم وتوقفت عند مدخل الفندق. يبدو أن لا أحد قد استيقظ بعد. منطقة الإستقبال كانت مهجورة ما

عدا رجل العمل الغريب، يوسف، الذي كان يؤدي عملاً صعباً في تفريغ المنافض وترتيب المساند.

تنفست غادة في الهواء النقي اللذيذ، ثم عادت إلى الردهة الصغيرة عند جانب الفندق.

وجدت الأستاذ العجوز نائماً على أحد المقاعد. نظرت إليه. أي رجل عجوز حزين يبدو، ومع ذلك كان سعيداً هنا ويلقى العناية الجيدة. لكنه حلمه في أن تقبل إحدى مسرحياته يوماً ما بدا بعيد المنال كالنجوم. لقد جعل الأستاذ كل شيء معقداً جداً، وغامضاً جداً!

خرجت غادة إلى الحديقة. بعد قليل شاهدت أحد موظفي الفندق يفتح النوافذ. حسناً؛ سرعان ما سيكون الإفطار جاهزاً، وكانت هي جائعة كالصياد.

«أنت هناك، أهلاً»، قال بلال. «لم أتوقع أي من ضيوفي أن يستيقظ هكذا باكراً. هل نمت جيداً؟»

«كالقمة. إنني دائماً أستيقظ باكراً لأنني أحب الصباح».

«وأنا، أيضاً. إنه ولادة يوم جديد والمرء يميل لمعرفة ما سيجلبه اليوم الجديد».

«هذا ما أشعر به، يا بلال؛ لقد كانت حفلة هادئة. أشكرك».

«وأشكرك، أيتها الشابة غادة. إنك ستنيرين أمسية كل شخص».

«لقد نجحت، أليس كذلك؟ مع والدي ومشيرة، أعني. إنني متأكدة بأنهما قد استمتعا بها».

«هل نحاول أن نجعلهما يقيمان يوماً آخر؟»

«هل يمكننا؟»

«ربما. معظم الآخرين سيغادرون بعد الغداء، لكن لدينا بعض الدائمين. فريدة ستبقى هنا لمدة أسبوعين وكذلك داليا ورباب. لدينا الأستاذ بالطبع وجليل سيقيم هنا لحوالي شهر. شاعرك سيغادر اليوم. هل لديك مانع؟»

«لا أبداً»، إعترفت. «إنه يكدرني».

«إنه يعتقد أنه بقوته يجعل الناس يتوقفون عن التفكير. لكنه مكدر. إنه لا ينظر إلى الجانب الساطع من الحياة، ودائماً في جانبها الأسود. هناك الكثير من الألم والأسى في العالم، لكن البكاء والنواح لا يوصلانا إلى نتيجة. شكوكو يعاني كثيراً، لكن ـ وهذا فارق كبير، هو لا يقطع الأمل».

«وقد تجرأت مرة، يا بلال، على إتهامك بالهروب! إنني أدري الآن، بأنك لن تهرب».

«أود أن ألتصق بالأشياء، يا غادة، ولو كانت فقط الأسوأ. هناك حر شديد. إننا قد نتوقع إحدى تلك

العواصف الغريبة لاحقاً. لست منزعجاً من ذلك. العواصف تبهجني».

«حقاً؟ إنها تخيفني، لذا أرجو أن تكون مخطئاً».

«أنت تخافين؟ لما أشاهدك تخافين من أي شيء! هل ندخل الآن؟ دعينا نوقظ جماعتنا الكسالى؟ على شرف مشيرة سيكون الفطور بيضاً مع ستيك، على الطريقة الإنكليزية».

نوعاً ما لدهشة غادة وافقت مشيرة ووالدها على الإقامة في الفندق حتى موعد الغداء يوم الأثنين. بعد الإفطار بقليل بدأ بلال وغادة يتمشيان عبر الوادي. شاكر ورباب كانا يتمشيان في حدائق الفندق يتحدثان عن الزهور. مشيرة وجليل كانا في الردهة يتحدثان عن الفن بكل أشكاله.

«يبدو»، قال بلال، «أن جليل قد لقي هوى لدى مشيرة».

«هل لديك مانع؟»

«شرط أن لا تتأذى بذلك، لا».

«هل جليل فاجر إذن؟»

«إنه شيطان صغير، نعم. إن لديه أكثر من حصته العادلة من الجاذبية الحيوانية، ألا تعتقدين؟»

«أعتقد ذلك، بالنسبة لمشيرة على الأقل. لكنه كبير

قليلاً ليجعلني آخذ الموضوع على محمل الجد. أعتقد أن نصف جاذبيته لمشيرة، أيضاً. أتوقع أن تجده مرحاً».

في الحقيقة، لقد وجدته مشيرة مسلياً، لكن لا أكثر ولا أقل. لقد كان من النوع الذي لا يستطيع أن يقاوم الإلتفات إلى النساء، شابات أو عجائز، فقط إرضاء لإثبات سحره. والنساء يعجبن به، وكثيراً ما يأخذونه بصورة جدية مع نتائج وخيمة.

ضحكت مشيرة على إطرائه، لكنها استمتعت تماماً برفقته.

عندما وصل بلال وغادة إلى تيرانو، بدأت غادة تحزم أمتعة لمشيرة، ولوالدها ولها. ثم أسرعت بالنزول إلى بلال الذي كان يشرب الشراب الذي صبته له. إبتسم لها.

«هذا بيت ساحر، يا غادة. إنه يعكس شخصية مشيرة».

«وليس شخصيتي أيضاً؟»

«الشمس الذهبية الآتية عبر النافذة، هي أنت».

«والوالد؟»

«إنه يقف على الرف. لم أكن أعلم بأن هناك كتباً عديدة عن الأشجار والغابات».

«وهل نظرت إلى الرفوف السفلية؟» أغاظته. «إنها كلها قصص خرافية. والدي واحد من قرائك المتحمسين.

هناك ترى مجموعة كاملة عن قصص الجريمة من تأليف المؤلف العظيم، الشهير بلال».

بدا بلال مندهشاً وشاكراً. تناول أحد الكتب عن الرف.

«هناك شخصية في هذا الكتاب تدعى مديحة. هي في قليل أو كثير نسخة منك، يا غادة. شابة وحلوة ومحبوبة».

ضحكت. «إطراء!»

كان ينظر على طول رفوف الكتب باهتمام وسأل:

«هل تمانعين إذا فتشت هنا لفترة؟»

«أمانع»، أخبرته. «نحن لسنا في عجلة من أمرنا لكي نعود».

إنهمكا كلاهما في التنقيب بين الكتب، دون أن يلاحظا أن السماء قد أظلمت إلا عندما ومضة رعد أضاءت الغرفة. بعد لحظة توالى هدير الرعد.

نظر بلال إلى غادة بقلق. «أنت تخافين من العواصف، أليس كذلك؟ لكن لا خوف عليك، حقاً».

«إنها ليست العواصف بحد ذاتها»، أجابت. «لكنني دائماً أخاف من تساقط الصخور. هل لاحظت النتوء خلف هذا البيت؟»

«خلف البيت؟ لا، ليس صحيحاً. إن هذا الجانب كله وعر، أليس كذلك؟»

«هل تذكر السقوط الشتاء الماضي؟ لقد وصل إلى الطريق تقريباً».

«إنه يبعد ميلاً، هكذا قالوا. ماذا تريدين أن تفعلي؟ نعود إلى الفندق أم نبقى هنا؟»

«نبقى هنا. فقط أنظر إلى المطر!»

«سيقلق شاكر عليك وكذلك مشيرة».

«إنهما يعلمان بأنني معك، يا بلال».

«حسناً، إذن سنبقى. هل نعود إلى كتبنا؟ إنها طريقة جيدة لتمضية الوقت».

أطرقت برأسها وحاولت عدم إظهار خوفها السريع عندما هدر الرعد من جديد والبرق قام بقفزات مجنونة في السماء. بعد ذلك بدا أن هدوءاً هناك في قلب الهرج والمرج. لكن صوت الريح والمطر، وازدياد الرعد، ووميض الكهرباء أخذ يشتد.

«تناولي شراباً، يا غادة. إنه سيجعلك تشعرين أحسن».

إرتجفت يدها وهي تتناول الكأس. كان الشراب لذيذاً وابتسمت غادة، إبتسامة بلال الهادئة جعلتها تشعر بتحسن. أسدل الستائر، محاولاً إبعاد العاصفة، لكن صوتها، وحدتها، قد ازداد. إرتعش النور الكهربائي، ثم أضاء ثانية.

www.rewity.com

«أراهن بأنها كانت ضربة على سقف محطة الطاقة»، قال بلال وابتسم كأنها نكتة. أطرقت برأسها، لكنها لم تستطع إخفاء الإندفاع الجديد للخوف. قلب العاصفة بدا الآن كأنه فوق الرأس مباشرة. عويل الريح إرتفع إلى صرخات، الرعد والبرق بدا أن أحدهما يلحق بالآخر، تقريباً كأن هناك سباقاً يجب كسبه. كان المطر يضرب بلا رحمة.

وهي تراقبه، رأت غادة أن بلال كان قلقاً الآن. هذه العاصفة ذات صفة تهديدية لا يمكن تجاهلها. فجأة وقف، وأمسك بيد غادة، وسحبها وتمتم، «من الأفضل أن نخرج من هنا بسرعة».

عندما فتح الباب الريح والمطر إندفعا عليهما بقوة أرجعتهما. يجب أن يقاوما كل بوصة من الطريق للعودة. بذراع بلال حول غادة ضغطت ضد العاصفة التي تعوي، ضد المطر الذي لا يرحم. كان هناك ضجيج في كل مكان، ثم صوت جديد أكثر إرهاباً...

كانت غادة واعية أن بلال أطلق قبضته عن ذراعها، ورماها إلى الأمام على الأرض ثم رمى نفسه فوقها ليحميها. إعتقدت أنها رأت أنواراً زرقاء، ثم بنفسجية. ثم لم تعرف شيئاً.

كان جليل ينظر بإمعان إلى مشيرة.

«أنت لا تصغين لي، أليس كذلك؟»

«أوه، أنا آسفة. ماذا قلت؟»

«لا يهم. هل أنت خائفة من العاصفة؟»

«لا، أنا لست خائفة».

«إذن لماذا تبدين هلعة؟»

«كنت أفكر بغادة».

«التي تخاف كثيراً؟»

«إنها تكره أن تعترف بذلك، لكن نعم، إنها تتسمّر من الخوف. إنه فقط خوف حديث، منذ سقوط الصخور السنة الماضية. أرجو أن تعذرني، يجب أن أفتش عن أخي».

«أنا هنا»، قال شاكر من المدخل. «هل تفكرين بما أفكر؟»

«يجب أن نخرج وراءها؟ نعم أتمنى لو أصرّيت على إحضار أمتعتنا. لقد أردت الذهاب لكنها لم تسمتع لي. قالت إنها مع بلال سيستمتعان بالمشي».

«أعرف، لقد قالت لي نفس الشيء. حاولي أن لا تقلقي كثيراً، يا مشيرة. العواصف تتكرر هنا، ونحن على الأقل معتادون عليها الآن».

«أنا ـ أنا أعرف، يا شاكر. لكن نوعاً ما، اليوم، أنا خائفة!»

«أنت تتذكرين تساقط الصخور، أليس كذلك؟ وكذلك أنا!»

«البرق يبدو أنه يتلاعب فوق تلك المنطقة، أوه يا عزيزتي، أنا ـ»

شاكر، ملاحظاً قلق شقيقته، قال، «سأذهب إلى هناك وأتحقق أن كل شيء على ما يرام. لكن لا تتوقعي عودتي بسرعة ـ إن الوصول إلى هناك سيستغرق بعض الوقت في هذه العاصفة».

«ساحضر، أيضاً»، قالت مشيرة بحزم.

«وأنا سأرافقكما»، قال جليل بحزم أيضاً.

غادر ثلاثتهم الفندق، يضربان طريقهم ضد العناصر الطبيعية كما فعل بلال وغادة، لكن من الإتجاه المقابل.

ومض البرق وهدر الرعد، ثم بوضوح تام، جاء هدير آخر وأعمق لسقوط صخرة.

«غادة!» صرخت مشيرة، لكن صوتها تلاشى بعيداً مع الريح، كانت تبكي، لكنه فقط بدا كالمطر على وجهها. كان شاكر أمامها، كانت تراه كلما ومض البرق. أمسك جليل بيد مشيرة وأجبرها على التوقف.

«عودي! عودي إلى البيت واطلبي النجدة»، قال لها.

«لا! يجب أن أجد غادة. عد أنت». أخذت تصرخ، «غادة!»

صرخ جليل عبر الضوضاء حولهما، «سأعود لطلب النجدة».

نظرت مشيرة حيث كان شاكر يتعثر كمخلوق بين جبال من الصخور المتساقطة. بدت تيرانو نفسها قد إختفت تماماً. جاءت زخة من الحجارة المتناثرة، لكن التساقط الرئيسي قد هدأ. الخراب قد انتهى.

فقدت مشيرة حاسة الزمن بعد ذلك. لم تلاحظ العاصفة وهي تبتعد، لم تلاحظ البرق التدريجي في السماء. كل ما كانت تعيه هو التسلق اليائس فوق وحول كتل الصخور. رأت شاكر مرة والألم في وجهه جعلها تبكي لأنه يعادل ألمها.

سرعان ما وصل الرجال، واستعملوا حبال التسلق. الطريق كان مسدوداً تماماً. أحد الضباط حاول استجواب مشيرة عن البيت، لكنها لم تكن لتستطيع إعطاءه أجوبة شافية. حضر شاكر وتسلم زمام الأمر. بسرعة أعطى ملخصاً عن تيرانو. الرجل هز رأسه.

«يجب عليكم أن تخرجوا إبنتي!» قال شاكر بحدة. «أوه، لا تقفوا هناك فقط».

الضابط لم يكن يصغي، لكنه بسرعة أصدر الأوامر. مشيرة وقفت كالتمثال والثلج في قلبها يزداد حدة. الآن رأت النور ـ ورأت، أيضاً، أن غادة لا يحتمل أن تكون ما زالت حية. صرخت واستمرت في الصراخ، بوحشية وهستيرية.

ثم جاءت صرخة وبدأ الرجال يركضون. بدأوا يحفرون، وبدأوا يجرون الصخور بالحبال. خائفة من الذهاب والرؤية، تقدمت مشيرة بساقين بدتا أنهما تحولتا إلى صخر. ثم صرخت ثانية. بلال كان هناك، جسده مقوس ليبعد جلموداً ضخماً. ثبتت الحبال حول الجلمود لرفع الثقل، لكن بلال الآن لا يستطيع الحراك. ثم رأت مشيرة ما كان بلال قد فعله. لقد أصبح درعاً حياً لغادة!

إستغرقوا وقتاً طويلاً لإخراج غادة وبلال. وكلما طال الوقت كلما بدا واضحاً أن خيط الحياة للشخصين اللذين وقعا في الشرك كان واهياً. الجلمود كان يتوازن على كومة من الصخور الصغيرة. وزن بلال حفظ ذلك التوازن، وإن ذلك كان معجزة بحد ذاته.

كانت غادة ما تزال فاقدة الوعي عندما رفعوها ووضعوها على نقالة. قال طبيب باختصار أنه شعر بأنها قد تكون مصابة بإرتجاج في الدماغ، لكن قد يكون هناك ضرر حقيقي طفيف. كانت هناك دماء تنزف من جرح في مؤخرة رأسها، لكنه كان سطحياً. بلال، مع ذلك، رغم أنه ما زال يحاول أن يبتسم، بدا أنه سبّب للطبيب مزيداً من الإهتمام. عندما وضعوه بعناية على نقالة، فقد غاب عن الوعي.

كل شيء بدا أنه يسير بحركة بطيئة، إعتقدت مشيرة،

عندما تسلقت مع الآخرين فوق أكوام الحجارة نحو الفتحة في الطريق. شاكر سار متعثراً إلى جانبها. كان مثل مشيرة مغطى بالأوساخ وثيابه ممزقة. أمامهما، كان الرجال الذين يحملون النقالتين يتحركون بعناية فائقة. بعد وقت طويل جداً وصلوا إلى الطريق، الجزء الذي كان خالياً، حيث تقف سيارات الإسعاف. بعد ذلك كانت الرحلة إلى المستشفى. في الأسفل البعيد للوادي إستمرت عمليات رفع الأنقاض.

الفصل الرابع

بعد مرور أربعة أسابيع تمكن بلال من العودة إلى فندق الوادي. كان لا يزال يعرج قليلاً وكان عليه أن يستعمل عصا، لكن فيما عدا ذلك كان على ما يرام. جليل، الذي كانت مساعدته لا تقدر بثمن، إنتظر ليراه قبل أن يعود إلى بلده. غادة عادت إلى الفندق لثلاثة أسابيع. أصبحت ذات لياقة تامة من جديد. شاكر ومشيرة كانا هناك، أيضاً، والأستاذ، ورباب أيضاً التي فاجأتهم جميعاً بالبقاء.

بمساعدة الخدم إستمرا في إدارة الفندق نيابة عن بلال. الآن جاء شهر أيلول وضيوف الصيف رحلوا.

بعد يومين من عودته ذهبت مشيرة إلى بلال الذي كان يعمل على بروفة كتاب. طرقت على باب عرينه وانتظرت حتى سمعته يقول، «إدخل». نظر إليها وابتسم. «أهلاً!»

«أنت تعلم ماذا جئت لأقول، أليس كذلك، يا بلال؟»

«أوه يا إلهي، لا لتشكريني ثانية؟»

«شاكر وأنا لدينا الكثير لنشكرك عليه!»

«هراء! إنني كنت سأبذل قصارى جهدي لأي شخص، أنت تعلمين ذلك. أما بالنسبة لإقامتكم جميعاً هنا معي، فإنكم تقدمون لي معروفاً. إعتبروا المكان بيتكم طوال

المدة التي ترغبون البقاء فيها. أعتقد أن تيرانو قد دمرت تماماً».

«إننا نحب ذلك البيت، يا بلال».

«هناك بيوت أخرى».

«ليست بالمعنى الكبير كبيت تيرانو».

«إمضوا سبعة عشرة سنة أخرى في بيت آخر وسيصبح له معنى كبيراً كبيت تيرانو. البيوت هي بيوت في أنحاء العالم. هل غادة تهتم به كثيراً؟»

«لقد كانت ممزقة في البداية، لكنها كانت تفكر كثيراً بثروتها الكبيرة ببقائها حية».

«غادة عاقلة».

«شاكر، بالطبع، فقد شيئاً يحمل له ذكريات عزيزة من حياته. إنني من أجل شاكر أشعر بالأسى العميق».

«الماضي هو الماضي، يا مشيرة. يجب عليه أن يضع أساساً جديداً لمستقبله. هل لديك أي دليل عما سيفعله؟»

«إنه يعلم أن رباب ستعود إلى بلدها في نهاية الشهر. إنه يقول بأنها قد تكون فكرة جيدة إن هو ذهب، أيضاً».

«هل هذا ما تريدين أن تفعليه؟»

«غادة تريد أن تذهب ـ ونعم، أنا أحب العودة. فقط لأنظر إلى الأماكن والوجوه القديمة. بكل أمانة لست أدري ما الذي سيحدث لنا بعد ذلك».

«لماذا تقلقين؟ الأمور معتادة على تصنيف نفسها. إنه ليسرني أن تبقي معي هنا لثلاثة أسابيع أخرى. إنني لم أخبرك عن مدى تقديري للزيارات التي قمت بها لي في المستشفى، أليس كذلك؟ إنني أشعر حقاً بأننا أصدقاء الآن». إبتسامته كانت مترددة. «لكننا نجحنا في النهاية، أليس كذلك؟»

«نعم، يا بلال، نحن أصدقاء جداً، جداً».

«ولا شيء أكثر؟»

إرتعدت للسؤال المفاجيء. كان يراقبها بإمعان. نظرت في وجهه وعرفت أنه كان وجهاً عزيزاً محبباً. إنها ستكن له عاطفة دائماً لما فعله من أجل غادة. لكن. . .

«لقد كان هناك شاب يدعى جواد؟» سألها. «هل ما زلت تتذكرينه؟»

أطرقت برأسها.

«لا أعتقد أن بإمكاني أن أشعر هكذا ثانية، يا بلال. لكن إذا أنت. . .»

«لا! إذاً وعندما تجدين أن بإمكانك أن تشعري هكذا ثانية، إذن عودي إلى الوادي هنا. النشارة ليست بديلاً، يا عزيزتي، وهكذا سيكون الحال معي».

شعرت بالحزن لأنه كان عليها أن تؤلم هذا الرجل المحبوب جداً. لكنه لا تزال هناك، بعد كل تلك

السنوات، ذكرى جواد. لماذا؟ ماذا حدث لقلبها؟ هل قتلت كل محبة، كل عاطفة لرجل آخر، لأن رجلاً خدعها؟

سارت نحو الباب، واستدارت لتنظر إلى بلال.

«هل يمكنك المجيء معنا؟» سألته.

«لا، يا مشيرة، لا أستطيع. الشتاء هو وقت كتاباتي. الصيف للضيوف والمرح. لكن الشتاء هو للعمل».

«لكن لا يزال أمامنا ثلاثة أسابيع، يا بلال؟»

إبتسم، تلك الإبتسامة التي أضاءت عينيه الداكنتين ورفعت زاويتي فمه العريض. «نستطيع أن نعطي قسماً من الأرض في ذلك الوقت».

إنتشر التورد على خديها. وشعرت فجأة بالخجل من بلال، خجل شديد حقاً، أطلقت عليه النظرة الأخيرة المرتعدة وهربت.

وجدت غادة جالسة تتأمل في الحديقة.

«أهلاً! الكل وحيد؟» علقت مشيرة.

«ام. م المكان آمن هنا بشكل مدهش، أليس كذلك؟»

«تبدين مفكرة. هل يمكنك أن تخبريني السبب في كل ذلك، يا غادة؟»

«لقد كنت أفكر في هذه الحدائق ـ وكيف ولماذا تكون».

www.rewity.com

«أوه؟ هل هناك قصة حول حدائق بلال الشهيرة؟ لم أكن أعلم!»

«نعم. لقد وثق بي مرة. قصة صغيرة حزينة نوعاً ما. لا أعتقد بأنه سيمانع لو أخبرتك».

غادة أخبرت مشيرة عن شقيقة بلال ورد الورود.

أصغت مشيرة بهدوء وشعرت بالدموع تلسع عينيها.

«أي طفل حزين كان».

«لقد قال بأنهم أبعدوه عن والديه فقط عندما بدأ يفكر بأن مأساته كبيرة جداً للإحتمال. هو ـ كان لديه مرض السل!»

«لا!»

«أوه، لكنهم عالجوه وشفي تماماً وعاد قوياً. لكنه يحب هذا الوادي ويقول بأنه لن يغادره. إنه يقول إن بقاءه هنا يجعله يشعر بالرضا عقلاً وروحاً. في الأساس كان يريد الذهاب إلى المكان الذي يقع فيه المصح، لكنه عندئذٍ سمع عن فندق الوادي ورآه وقرر أن هذا هو ما يريده بالضبط. أوه يا مشيرة، ماذا سنفعل بدون بلال؟»

نظرة مشيرة إلى غادة بحدة.

«لا تخلطي العرفان بالجميل بشيء آخر، يا غادة. إن ذلك سيكون خطأ كبيراً».

أدارت غادة خديها المتوردتين نحو عمتها.

«إنني لا أخلط أي شيء. إنني فقط أفكر بأنني أكن عاطفة لبلال».

«هراء، يا عزيزتي! إن بلال كبير بحيث يكون والدك. إنك تشعرين هكذا لأنه أنقذ حياتك».

«أوه لا، هناك أكثر من ذلك. إنني معجبة بمبادئه والطريقة التي يساعد بها الآخرين. إنني مولعة به لأنه مليء بالمرح، ومتفهم، أيضاً. إنه رجل ذكي ولطيف. إنه شجاع وقوي و... أوه لست أدري! إنني فقط أكن له عاطفة، وهذا كل شيء».

«يجب أن لا تصدقي ذلك، يا غادة. أنت تشعرين بمودة عميقة له، لكن المودة لا يمكن أن تكون عاطفة».

نظرت غادة إلى عمتها بتفكير. قالت بهدوء، «المودة هي بداية العاطفة».

تجنبت مشيرة عيني غادة. من المحتمل أن هذه الشابة تعرف أكثر مما تفعل. في حالة مشيرة العاطفة جاءت بسرعة وبإيجابية. لم يكن هناك تصنيف من المودة إلى العاطفة ـ العاطفة نفسها أصابتها كالبرق. عندما انتهى الأمر إختفى كل البريق، تاركاً سواد اليأس...

نظرت إلى غادة بابتسامة طفيفة وقالت:

«أنت تكنين عاطفة للعاطفة وهذا كل ما في الأمر. إذا كان بلال سيستقر على أي شيء ـ فإنه سيكون شخصاً

مثلي. أنت تعلمي، يا عزيزتي، إنني كبيرة لأكون والدتك!»

ألقت غادة على عمتها إبتسامة متوددة. «سنرى».

مشيرة، في تلك اللحظة، وجدت نفسها تتمنى أن الأسابيع الثلاثة ستذوب هنا وهناك. يجب أن تبتعد غادة! من المهم لابنة شاكر أن تقوم بالخيار الصحيح في العاطفة. قد يكون هناك العديد من الأخاديد ولن يكون هناك دائماً وقت لاقتفاء خطوات الآخرين.

حياة مشيرة الخاصة عانت كثيراً لأنها كانت تكن عاطفة للرجل الخاطيء. يجب أن لا تفعل ذلك!

«دعيني أحمل أشيائك»، قال شاكر لرباب. «أنت لست معتادة على التسلق مثلي. إستعملي كلتا اليدين، كلتاهما!»

ضحكت رباب لشاكر، وأنزلت رزمة كتفها وناولتها له.

«لقد مضى وقت طويل منذ أن اهتم بي رجل كأنني شيء خاص».

«إذن يجب أن تعرفي ذلك النوع من الرجل».

«أوه، إنه من السهل المجيء، ومن السهل الذهاب مع الجمهور. معظم الفنانين والشعراء يعتقدون بأنه يجب علينا نحن النساء أن نعتني بهم!»

«هل يمكنني أن أراكِ؟ لقد قررت الذهاب إلى بلدك وأود رؤيتك هناك كثيراً».

«سأكون منعزلة إذا لم أشاهدك، يا شاكر. يبدو أنك تفهمني يمكنني أن أتحدث إليك، حيث لا أستطيع التحدث مع الآخرين. إنني بحكم الطبيعة خجولة».

«وكذلك أنا. هل نستمر؟ هناك منزلق سهل هناك».

أخذا يتسلقان من جديد وكان ذلك عملاً يقطع الأنفاس. وصلا إلى المنزلق وهنا كانت أزهار برية تنمو بوفرة. رباب أخذت رزمة كتفها من شاكر وبدأت تخرطش. لم يتكلم أحدهما. أدار شاكر وجهه نحو الشمس وأغمض عينيه.

منذ وفاة غادة هذه المرأة الشابة كانت الوحيدة التي حركت مشاعره. لسنوات ظل مبتعداً، يخطط حياته حيث لا تتطفل إمرأة ـ ما عدا، بالطبع، مشيرة، التي كانت مدهشة بالنسبة إليه في سنوات مأساته الأولى واللاحقة...

كان الوقت قد تأخر عندما فتحت رباب رزمة كتفها أخيراً لتعيد أدواتها. قفز شاكر واقفاً على قدميه وتمطّى.

«هل حصلت على وقت ناجح؟» سألها. «واحدة من أجمل اللوحات. حتى إنني نسيت أنك هنا».

«أعرف. لقد كنت أراقبك لبعض الوقت. إنني معجب بطريقة تعاملك مع الأزهار. تعجبني الطريقة التي

تتفحصين بها كل برعم لإيجاد الشكل المناسب. هل تعرفين وتتعرفين على كل زهرة؟»

«نعم».

«إن عليك أن تحولي معرفتك لي بعدئذٍ. لقد عشت هنا لعدة سنوات ويجب أن أعترف بجهلي الكامل فيما يتعلق بالأزهار. مشيرة عادةً تهتم بحديقتي. غادة كانت الخبيرة قبل ذلك».

«والآن ليس لديك لا حديقة ولا بيت. مسكين يا شاكر!»

«المكان يحمل لي ذكريات».

«لكنك ستحمل ذكريات جديدة، يا شاكر. دعنا نأمل بأن تكون ذكريات سعيدة».

إبتسم لها وأجاب بنعومة:

«إن لدي إعتقاد بأنها قد بدأت. لقد استمتعت بهذا اليوم».

«وكذلك أنا».

«لأنك تمكنت من نسياني تماماً؟»

«أنت لم تحطم قوة تركيزي. أنت، لذلك، رجل مدهش. إنني سأفتقدك، يا شاكر».

«تفتقدينني؟ إذن لقد غيرت رأيك؟ ألست لأحضر وأراك؟»

«بالطبع. لكن الأمور ستكون مختلفة، كما ترى. سنكون بعيدين عن هذا الوادي ومفترقين عن بعضنا. ستراني في ضوء مختلف عندئذٍ، يا شاكر. أنا لم ولن أستطيع أن أكون ـ غادة ثانية».

«أعلم ذلك!»

«إنني أنانية تماماً. أنا أعيش حياة تختلف عن حياتك تماماً. أنا أختلط مع أناس قد لا يعجبونك أو لا تستطيع أن تفهمهم. أنا واحدة من أولئك الناس، يا شاكر. أعمل بنفس الطريقة».

«ماذا تحاولين أن تقولينه حقاً»، قال لها، «هو أنني أكبر منك بعشر سنوات».

«أوه لا! ما هي العشر سنوات؟ ما هو الزمن نفسه؟ فقط نوعاً من روزنامة وضعها الرجل. إنني معجبة بك، يا شاكر. أعتقد أنني أريدك أكثر من أي شخص آخر».

«الإعجاب ليس كافياً!»

رفضت أن تأخذه على محمل الجد. «الإعجاب هام جداً. والعاطفة قد تكون معقدة. العاطفة والزواج عقدتان ـ وأنا أريد أن أكون حرة!»

«فقط للحظة واحدة ولن تكوني»، قال بحزم وضمها إليه.

www.rewity.com

كانت الأجراس تقرع عند شاكر ورباب عائدين عبر الوادي.

وصلا إلى الفندق ووجدا الأستاذ فقط جالساً في الردهة. إنحنى لهما، دون أن يتكلم.

«إعذريني»، قال شاكر، «سأصعد لتبديل ثيابي للعشاء».

إنحنت له باختصار. خلال إقامتهم في الفندق شاكر وعائلته حافظوا على الإفراط في التأنق. بالرغم من كل الخسارة لبيتهم فقد حافظوا على واجهتهم للعالم. لقد تسوقوا واشتروا الضروريات. خارجياً، على الأقل، إستمروا في حياتهم كأن شيئاً لم يحدث. مع أن كل شيء قد حدث. خطط مستقبلهم هي الغموض بحد ذاته، مع ذلك ظلوا يتجولون بكل الهدوء الذي في العالم. إذا كانت هذه هي الواجهة التي يرتدونها أم لا فإن من الصعب إكتشافها.

في تلك اللحظة وجدت رباب في قلبها أنها تتمنى شخصفا برباطة جأش هذه العائلة.

عندما صعدت ببطء إلتقت غادة. الفتاة حيتها بابتسامة عريضة ورباب ردت الإبتسامة مرة في حياتها شعرت أنها غير كافية لمكافحتها.

«لقد تأخرت، يا رباب»، قالت غادة. «هل كان والدي يجعلك تتسلقين فوق قمم الجبال؟»

«لا، أنا التي جعلته يتسلق. لقد كنت أرسم، كما ترين».

«مدهش! هل يمكنني أن أرى ما رسمت؟»

«بكل وسيلة. هل يكون ذلك بعد العشاء؟»

«إنني سأنتظر. أين مشيرة، هل تعرفين؟»

«إنني لم أرها. لقد وصلنا لتونا».

«حسناً، إنها لا يمكن أن تكون بعيدة من هنا. سأراك لاحقاً».

واصلت غادة هبوطها ورباب أخذت طريقها إلى غرفتها. إستحمت وبعدئذٍ، بعد تفكير، نزعت هندامها وارتدت ثوباً.

الجو على طاولة العشاء كان أشبه بحفلة. الهدوء العادي لرباب كان مقبولاً ولذلك لم يكن هناك أي تعليق. راقبت الآخرين واعتقدت أن الضحك كان مزيفاً قليلاً، والمرح مغتصب قليلاً. رأت نظرات بلال باتجاه مشيرة. ورأت أيضاً، الإعجاب في عيني غادة وهي تتعلق بكل كلمة من كلمات بلال. إعتقدت بدهشة، أن الطفلة تكن له عاطفة! مشيرة تعرف ذلك وهي خائفة. كانت لبلال عينان فقط لمشيرة، لكنها اختارت أن لا تراها. وشاكر؟

شاكر يستطيع فقط أن ينظر لي بتلك العينين الداكنتين ولا أدري بماذا يفكر. . .

في الأمسية التي سبقت موعد سفرهم، بلال وجد مشيرة وحدها في حديقة الورد.

«إذن»، قال بهدوء، لقد تم ترتيب كل شيء. ستسافرون غداً، يا مشيرة، ولا أستطيع أن أقول بأن هذه الفكرة تسعدني». ثم أردف يقول: «وأنا سأفتقدك كثيراً. لماذا لا تغيري رأيك وتأتي للإقامة معنا؟»

«لأن شاكر سيعود. إن مكاني معه ومع غادة».

«إنني لأعجب، من جهة أخرى، إذا كان شاكر مناسب لرباب. لقد تغير نوعاً ما. أصبحت كالخيال. إن شيئاً ما حدث بين هذين الإثنين».

«ولو كان الأمر كذلك، فإنهما صديقين حميمين جداً. إنهما دائماً معاً».

«لقد أصبحت غير واثقة من نفسها».

ضحكت مشيرة قليلاً على ذلك.

«لا يمكن ذلك أن يكون، هل يمكن»، سألت. «إن رباب غير واثقة من شاكر؟»

«ربما. هل فكرت ما قد يحدث لك إذا. . .»

«شاكر تزوج ثانية؟ نعم، لقد فكرت بذلك. إنني لا

أرى أي فارق. من المحتمل أن أقوم بتأسيس بيت لنفسي. وبالطبع، هناك غادة».

«نعم. هناك غادة، وهناك تكمن مشكلتك».

«حقاً؟ لست أرى السبب».

«يوماً ما ستقوم بأسيس بيت خاص بها».

«عندما يأتي ذلك اليوم سأمنحها بركتي. وفي نفس الوقت أريدها أن تبتعد عن الوادي».

«أنت حقاً تعنين عني، أليس كذلك؟»

إتسعت عينا مشيرة. «أنت خمنت؟»

«إنها تحترمني كبطل ـ حسناً، إنها ستتغلب على ذلك وتدعو نفسها بكل أنواع الحماقة لاحقاً. خاصة عندما تدرك أن عيناي هي فقط عليك».

«لا تفعل!»

«هل ما زال هناك جواد؟»

«لا ـ لا أعتقد هكذا، يا بلال. فقط لأن كل شيء قد حدث لي بسرعة. لقد حدثت لي يقظة وقحة. بكل أمانة لقد اعتقدت بأنني سأقضي بقية أيامي في تيرانو. لم أستطع التعود على فكرة أن البيت قد ولى. وأن شاكر قد تغير، وأن غادة. . .»

«عانقيني، يا مشيرة».

«لا!»

«نعم!» وطوقها بذراعيه وشدها إليه. أغمضت عينيها، معترفة بأن هذه اللحظة لن تنساها. إن عاطفة هذا الرجل كانت مخلصة - إنه لن يخيب أملها، مع ذلك... وانهمرت الدموع وهي تنظر إليه عندما أطلقها.

«إذا وجدت أن بإمكانك أن تكني لي عاطفة»، قال لها، «هل تعديني بأن تعودي إلى الوادي؟»

أطرقت بصمت. رفع ذقنها لتنظر في سواد عينيه، لقد كان جاداً الآن عندما قال:

«أعتقد، يا مشيرة، أنني بدأت أكن لك عاطفة منذ اليوم الأول الذي رأيتك فيه. لقد صبرت فترة طويلة. هل ستذكرينني عندما تكونين هناك؟»

«سأتذكر دائماً أنت والوادي»، همست.

عانقها من جديد مودعاً، وتمنت مشيرة لو يطول العناق. ثم عاد الوعي. يجب أن تكون متأكدة. بلال شخص مدهش.

في صبيحة اليوم التالي، باكراً جداً، سافروا. الأستاذ لوح لهم مودعاً، لكن مشيرة وغادة كانتا تراقبان بلال. وقف عند البوابة ملوحاً لهم عندما ابتعدوا. غادة بكل وضوح تبكي.

«إنه سيكون وحيداً طول الشتاء»، قالت باختناق.

«سيكون جالساً في عرينه يكتب وينتظر قدوم الربيع. أتمنى لو أننا لم نذهب!»

«الفندق سيكون مليئاً بمئات الضيوف الذين يحضرون على العيد»، قال شاكر، «وبلال لن يكون وحيداً لفترة طويلة. في خلال شهر سينسى كل شيء عنا».

«لا!» قالت غادة. «إنه يحبنا جميعاً!»

«لكنه يحب الآخرين، أيضاً. بلال يعيش حياة عظيمة. إنه فخور لأنه بحلول العيد سيكون حوله قطعان من النساء المعجبات ورجال أغنياء ومشهورين».

عبروا الحدود بوقت قياسي ويمموا نحو كاليه.

هناك تناولوا وجبة قبل أن يعبروا القنال إلى دوفر. كم تبدو غريبة العودة إلى إنكلترا بعد كل تلك السنين، إعتقدت مشيرة. إنهم الآن أشبه بغرباء يعودون لبلد جديد.

غادروا الجمارك وعندئذٍ جاء رجل ضخم وتقدم لتحية رباب. شاكر صافح القادم الجديد عندما قدمته رباب للآخرين بأنه وكيلها. قيلت كلمات الوداع ورباب ذهبت إلى لندن.

«البواخر التي تعبر في الليل»، لاحظت غادة وتراجعت للصدمة التي ظهرت على وجه والدها. لأول مرة فكرت غادة فيه هو ورباب. لقد شدت على يد شاكر. «آسفة

لأنني قلت لك، يا والدي. إنني معجبة برباب وأرجو أن أكون على خطأ!»

نظر شاكر إلى مشيرة وغادة وقال بعناية:

«إنني سأجعل همي الاهتمام برباب ـ عندما نستقر. هذا هذا مناسب لعائلتي؟».

«يا والدي، هل أنت بحاجة للسؤال؟»

«إنني بكل إخلاص آمل أن تفعل!» أجابت مشيرة. «غادة وأنا معجبتان برباب».

«وكذلك أنا»، قال شاكر بابتسامة حزينة. «إنني فقط أنه بمرور الوقت أرجو أن تعجب بي».

كانت غادة تنظر حولها باهتمام. كل هذا بدا غريباً عليها. «والآن هل يمكننا أن نواصل المسير؟» سألت. «إنني متشوقة لرؤية الأماكن التي حدثتني عنها. أريد الذهاب إلى لندن ورؤية القصر ونهر التايمز. أريد زيارة البرج و...».

«الأشياء الأولى أولاً، يا غادة. إننا سنستقر في أحد فنادقي المحلية وعمتك مشيرة في بيتها القديم. بعد ذلك نبدأ بوضع الخطط».

لم يكن هناك أي تحدي في الحياة الآن، مثلما كان منذ سنوات، عندما تولت هي مسؤولية تربية غادة. غادة الآن شابة وبإمكانها الوقوف على قدميها. من الأفضل أن

تتزوج الفتاة خلال السنوات القليلة القادمة، لكن ماذا عنها وعن شاكر عندئذ؟

في سويسرا الثلاثة كانوا بحاجة إلى رفقة قليلة، وكثيراً ما كانوا منهمكين لتوفير الوقت لذلك. لكن الأمر يختلف الآن.

الآن لقد عادوا إلى انكلترا كغرباء. أصدقاؤهم القدامى قد رحلوا مثلهم. العم جهاد قد توفي منذ سنوات والعمة ريما تعيش في الشمال الآن. حتى لو قاموا بزيارتها فإنها لن ترحب بهم بحرارة. من البداية كانت غاضبة من تقدم شاكر ومن ثم بهجر مشيرة، كما تسميه.

هزت مشيرة كتفيها بإذعان. إنها تقلق كثيراً حول الأمور مقدماً. يجب أن تنتظر وترى كيف تتبلور الأمور.

www.rewity.com

الفصل الخامس

أعجبت غادة بالبلدة. لقد كانت بلدة قديمة ناعسة مليئة بالسحر ولها طابعها الخاص. الفندق الذي أقاموا فيه يذكرها بالأفلام التي رأتها في عصر الملكة اليزابيث. لقد كان الشعب أليفاً. أمضوا الساعات يتجولون ويفتشون عن الأصدقاء القدامى.

أمضت غادة معظم وقتها في استكشاف الريف، وقد أعجبت بالأكواخ الصغيرة، والفنادق النموذجية القديمة. كما سحرت بكل ما رأته.

لكن بيتاً خاصاً جعلها تقف مذهولة. كانت مع شاكر ومشيرة وقد أوقفتهما لينظروا إليه، أيضاً. قالت لمشيرة، «إنه كامل - وهو معروض للبيع!»

وقف شاكر ينظر إليه بعين ناقدة. نعم، يبدو جيداً كفاية وكان بكل تأكيد جذاباً. جيد من حيث الحجم، أيضاً. ليس من الخير أن يشتروا مكاناً لا يستطيعون التحرك فيه، ولا كبيراً بحيث يضطرون لاستئجار مجموعة من الخدم.

كانت مشيرة تتطلع على لوحة الوكيل. المكاتب فقط كانت على بعد ميل. «ربما»، إقترحت، «لو ذهبنا رأساً إليهم الآن فقد يعطوننا المفتاح للتفرج عليه».

فرحت غادة، واندفعت عائدة إلى السيارة، وفي خلال بضع دقائق كانوا جميعاً في مكتب وكيل البيت. تحدث جيدفا عن الملكية ونصحهم باتخاذ قرار عاجل لأن هناك شخصين مهتمين كثيراً بالبيت وقد يحضران قبلهم.

كان البيت يقع في أرضه الخاصة التي كانت مليئة بالأزهار البرية المختلفة. الأوراق المتساقطة شكلت بركاً ذهبية وخمرية على العشب الطويل. الممشى كان مليئاً بخضرة نبات الحماض، والسياج الخاص كان من نباتات متناثرة. أشجار الخور تناطح السحاب وقد أصبحت حراساً للسطح المبلط بالأحمر.

نباتات متسلقة فوق جدران البيت وشجيرات مزدانة بباقات حمراء. مجموعة درجات تؤدي إلى الباب الأمامي، الذي كان على كل جانب من جانبيه شجرة صنوبر قصيرة. مشيرة وجدت قلبها يخفق بإثارة جديدة. شاكر بدا كأنه اتخذ قراره.

حالما دخلوا، كانت الغرف أكبر مما يخيل للمرء. كانوا مهملين نوعاً ما، لكن مشيرة سرعان ما وضعت خططاً للألوان والتحسينات. كانت هناك أربع غرف في الطابق العلوي، غرف جميلة بمناظر محببة من كل نافذة. الحديقة الخلفية كانت واسعة.

«هل أعجبكما؟» مشيرة حبست أنفاسها بانتظار جواب شاكر. إبتسم.

«معمارياً»، قال، «إنه خليط، لكن نعم، لقد أعجبني».

أشرقت عينا غادة.

«إذن ستشتريه حقاً؟ أوه، يا والدي!»

ضحك شاكر لحماسها. «نعم، أعتقد أنني سأشتريه. عمتك معجبة به وأنا كذلك ـ وليس هناك من شك حول تفكيرك نحوه. من الأفضل أن نعود إلى الوكيل بسرعة ونعلمه بأننا سنشتريه.

كانوا جميعاً يضحكون عندما غادروا البيت. نظرت غادة إلى الوراء.

«أي إسم جميل يحمله... السعادة. سنكون سعداء فيه».

بالطبع لقد استغرق شراء بيت «السعادة» أكثر مما تأملوا. وهكذا إتخذوا الإستعدادات لتمضية العيد في الفندق.

«إنه سيكون أشبه بتمضية العيد مع بلال»، قالت غادة. «إنه سيكون نفس جو الحفلة. إنني لأعجب كيف حال بلال الآن؟»

كانت مشيرة تعجب نفس الشيء. لقد ازدادت ولعاً بالرجل الطيب القلب ـ وافتقدته أكثر مما كانت مستعدة للإعتراف. قالت بتفكير:

«نعم، إنني لأعجب».

داعب شاكر شعر غادة. «أعتقد أنه الآن غارق في الثلج حتى أذنيه وأنه يحب كل بوصة فيه. إن لديه حماساً للحياة!»

«إن الممر قد أغلق لأسبوعين»، أخبرته غادة. «أرجو أن لا يكون وحيداً».

«لن يكون وحيداً، أعدك»، أجاب شاكر. «والآن أيها الفتاتين هل تحبان التسوق للعيد في مدينة لندن القديمة؟»

مشيرة وغادة لم تكونا بحاجة لدعوة ثانية. العيد في إنكلترا كان شيئاً يتطلع إليه ـ والتسوق في لندن...

«هيا، دعونا نذهب!» قالت غادة، ومشيرة وشاكر ضحكا عالياً لحماسها غير المحدود.

كانت لندن مرحة بالأضواء الملونة. واجهات المحلات تتلألأ وتحمل معروضات فنية. غادة ومشيرة كانتا في أوج فرحتهما. شاكر بدا نوعاً ما هادئاً وكان على غادة أن تعيد الأشياء التي تقولها مرة أو مرتين. كان المساء قد اقترب قبل أن يضعوا رزمهم في صندوق السيارة.

«أيتها الفتاتين هل ترغبان في حضور إستعراض؟» سأل شاكر. «أعتقد أن بإمكاننا الحصول على مقعدين لو أسرعنا قليلاً».

«فقط مقعدين لنا؟» سألت غادة بسعادة وغمزت مشيرة التي ابتسمت ولمست كم شاكر بخفة.

«إنك تحاول التخلص منا كي تستطيع الذهاب للبحث عن رباب، أليس كذلك؟»

ضحك. «لقد اكتشفتما! نعم تلك كانت الفكرة، حقاً».

إبتسمت إليه. «إننا نحب أن نرى الإستعراض، أليس كذلك؟» أستدارت نحو غادة التي أطرقت بقوة.

تمكن شاكر من الحصول على تذكرتين لمسرحية غامضة جديدة تعرض على مسرح وست أند وأوصل غادة ومشيرة إلى هناك عند المساء.

بعد أن شاهدهما تستقران براحة في مقعديهما وزودهما بعلبة من الشوكولا، غادرهما بعد أن وعد بأخذهما بعد انتهاء العرض. ثم قاد سيارته مباشرة نحو عنوان رباب.

كانت شقتها في مبنى ضخم يقع في الطرف البعيد من المدينة. أوقف سيارته وأسرع باتجاه المصعد. تسارعت دقات قلبه وهو يضغط على جرس الباب. فتح الباب في

الحال وخرجت موسيقى من الداخل أصابته جسدياً، فقد كانت عالية. ووجه شاكر بإمرأة شابة دراماتيكية الشكل ذكرته نوعاً ما بكليوباترا. كانت تحمل سيجارة مشتعلة في إحدى يديها وكأساً باليد الأخرى. إبتسمت وأشارت إليه للدخول.

تردد شاكر. «الآنسة رباب؟» سأل، وهو يعجب للحظة إذا كان قد جاء إلى العنوان الصحيح.

المرأة الشابة لوحت بيدها نحو الغرفة التي جاءت منها، قائلة بنعومة، «إنها في مكان ما هناك»

دخل شاكر الغرفة ولاحظ بدهشة أنها كانت مزدحمة بمجموعة من الشباب. كانوا يحتلون كل بوصة من الغرفة، وكثيرون كانوا يجلسون على الأرض. كلهم كانوا يرتدون ثياباً عادية، كلاهما ذكوراً وإناثاً كانوا بالجينز والكنزات السميكة. عند أحد جوانب الغرفة، على حائط، كومة من الخيش. هذا إذن، يجب أن يكون الأستوديو حيث تعمل رباب عادةً، إعتقد شاكر. لكن أين رباب؟ لم يستطع أن يرى لها أثراً بين بحر الوجوه.

رأت حيرته، فتاة مليحة الوجه، شقراء، طويلة تقدمت نحوه.

قالت: «نحن تلاميذ رباب ونقيم حفلة الليلة. في هذه

اللحظة هي تعد القهوة، لكن يمكنك الدخول إليها في المطبخ. إنه هناك». وأشارت إلى باب عند الطرف البعيد من الغرفة.

بعناية شق طريقه بين كومة السيقان الممدودة على الأرض، سار شاكر في ذلك الإتجاه، لكنه أوقف بواسطة شاب ذو شعر أسود وعينين زرقاوين الذي قال:

«إنهم لم يرحبوا بك، لكن أنا طلال. ستسمع كل الأسماء الأخرى عندما تعود إلى هنا بعد بضع دقائق». إبتسامته كانت عريضة ومألوفة.

إبتسم له شاكر، ثم نظر إلى الذين تجمعوا حوله. كلهم حيوه قائلين، «أهلاً!»

شعر كأنه خارج المكان وكأنه دخل ناد معروف للرجال يرتدون القميص الكاكي والشورت. بسرعة إتجه نحو الباب الذي أشارت إليه الشقراء المليحة الوجه. هناك سيجد رباب...

عندما فتح الباب ورآها، لبط الباب وأغلقه بكعبه وأسرع إليها. كان مدركاً أن مشاعره في تلك اللحظة كانت أشبه بتلك التي إختبرها عندما لمح غادة. كم مضى على ذلك! وهذه ليست غادة، هذه المرأة الشابة لا تشبهها بأية طريقة، لكن قلبه أخبره في تلك اللحظة أن رباب هي المرأة الأخرى التي يرغب أن تشاركه حياته.

كانت تقف فوق علب البسكويت وأقفاص الشراب، وكالآخرين، كانت ترتدي الجينز والكنزة. بدت مرتبكة قليلاً لا تدري أي عمل تقوم به بعد ذلك. ثم فجأة نظرت وبصرخة فرح هرعت إليه، وقد أوقعت الصينية التي كانت تحملها.

كانت بين ذراعيه وكان يشهدا إليه بقوة تدل على مدى افتقاده لها. ثم أبعدها عنه ورأى السعادة في عينيها. كانا منشرحين لرؤية بعضهما. فجأة شعر بسعادة محمومة.

قال: «إنه الوقت الخاطيء والمكان الخاطيء، لكنني أريدك أن تعلمي بأنني أكن لك عاطفة».

بدون تردد أجابته. «وأنا أيضاً أكنّ لك عاطفة».

بابتسامة مرحة رفعت الصينية وساعدها شاكر بوضع أكواب القهوة. حمل الصينية إلى الغرفة الأخرى وجرى تقديمه إلى معظم الحاضرين.

رغم أنه شعر بأنه خارج الصورة قليلاً فقد استطاع أن يندمج جيداً، لكن معظم إنتباهه كان لرباب. كيف كانت تتحدث، كيف تتحرك، والطريقة التي يعجب بها هذا الحشد من الشباب. حبّها للفن كان حياتها وهي راغبة في تمرير موهبتها إليهم...

إستطاع شاكر أن يراها لوحدها ثانية عندما عادت إلى المطبخ لإعداد الساندويشات.

قال لها: «هذا جانب من حياتك لا أعرف عنه شيئاً. لم تكن عندي فكرة بأنك تعلمين الفن».

«إنني أقوم بهذا، أيضاً»، أخبرته. «وصوري للكتاب قد انتهت. لاحقاً سأعود لصور الكتاب ثانية، لكن هذه الإستراحة ممتعة بينهما. إنه ليساعدني على الإسترخاء وجود كل هؤلاء الشباب من حولي. إنهم متحمسون بشكل جنوني وهم أذكياء - ومن السهل تعليمهم...»

أوقف تدفق كلماتها. نظر إليها بجد ويداه على كتفيها وقال بهدوء:

«أكثر من أي شيء آخر، أريدك أن تتزوجيني، يا عزيزتي. هل ستفكرين بالموضوع؟ أم يجب أن أحاول نسيانك؟»

العاطفة له كانت هناك، فقد استطاع أن يراها في عينيها، لكنها هزت رأسها. «لا، يا شاكر. لقد أخبرتك من قبل بأنني يجب أن أكون حرة. نحن مختلفان وهذا لن ينجح والزواج دائم».

«نعم»، قال بتفكير. «يجب أن يكون الأمر كذلك». لكنه لن يقطع الأمل، ويفقد الإتصال بها نهائياً. سحب محفظة من جيبه وأخرج بطاقة بعنوانه في بيت «السعادة».

ناولها إياها وقال بهدوء، «هل ستحضرين لرؤية البيت الذي سأشتريه؟ نحن سننتقل إليه في بداية العام الجديد. في الوقت الحاضر نحن نقيم في فندق».

أخذت البطاقة منه ووضعتها على رف المطبخ.

«سأتذكر، يا عزيزي شاكر»، قالت بابتسامة.

قال بجدية، «أرجو أن تفعلي، يا رباب. يجب أن تتصلي بي عندما تقررين بشأني. أنت تعلمين بأنني أكن لك عاطفة وسأستمر بعاطفتي حيالك - وأنا أريد الزواج منك أكثر من أي شيء في العالم».

أمضى الأمسية مع مجموعة الطلاب ووجد أنها مجموعة محببة. لكنه كان يفضل تمضية الوقت مع رباب. مع ذلك، فقد كان هو المتطفل هنا ولا يحق له التدخل في خططها لفرحة المساء.

غادر عند العاشرة، وقد أعطى نفسه وقتاً كبيراً لأخذ غادة ومشيرة بعد المسرحية، ووصل إلى المسرح قبل عشر دقائق من بدء النظارة في الخروج.

وفيما كان ينتظر في الردهة لمح وجه غادة الضاحك قبل لحظة من رؤيتها له. قالت بفرح، «لقد كانت مسرحية عظيمة. لقد تسمّرنا في مقعدينا بذهول». إستدارت إلى مشيرة. «أنت استمتعت بها، أيضاً، أليس كذلك؟»

www.rewity.com

أطرقت مشيرة. «نعم، لقد كانت جيدة حقاً. إنني دائماً غير واثقة من الإستمتاع بالمسرحيات هذه الأيام ـ لقد مرت فترة طويلة منذ رأيت واحدة ـ لكنني حقاً قد استمتعت بهذه المسرحية تماماً».

شق شاكر الطريق لهما عبر الجمهور المتزايد باتجاه سيارته. عندما قاد السيارة، قالت مشيرة بغمزة منحرفة إلى غادة:

«لقد عثرت على رباب، إذن؟ هذا كله واضح على وجهك»

ضحك. «نعم، لقد عثرت عليها، لكنها لم تكن لوحدها. إنها تمضي بعض الوقت في تعليم الفن لتلاميذ وكانت لديها مجموعة منهم الليلة. كانوا جمهوراً من الشباب الممتعين، و» ـ أدار رأسه ليبتسم لمشيرة ـ «ولم يعاملونني كأنني جدهم».

«ولماذا يتوجب عليهم ذلك؟» سألت بجدية. «أنت ما زلت رجلاً مقبولاً جداً، يا شاكر، ويمكنك، إذا أردت، أن تجذب عدداً من أعضاء الجنس الآخر».

«أنا أوافق»، تدخلت غادة. «لكن إذا قررت الزواج من رباب فإنه يبدو بأن عليك أن تشتري فندقاً لاستيعاب معارفها».

فندق! سرحت أفكار مشيرة نحو فندق الوادي. أين بلال في هذه اللحظة؟ ماذا يفعل الآن؟ وهكذا استطاعت أن ترى بوضوح عينيه الداكنتين تضحكان وهو يشرب مع أصدقائه، وتسمع ضحكته وهو يسرد قصة ما.

إنها لا تستطيع أن تنكر، حتى لنفسها، أنها قد افتقدته. لقد أصبح جزءاً من حياتها خلفته وراءها. . . وتذكرت، أيضاً، تلك اللحظة عندما ضمها إليه، ودفء ذراعيه القويتين حولها. . .

الفصل السادس

بدأ العيد في الفندق بهدوء. هذه كانت الليلة التي يفتح فيها الفندق الأبواب على مصراعيها. لقد كان موعد الحفلة وكل من يهمه الأمر في الحضور كان موضع ترحيب. لقد كان من عادة البلدة أن تمضي العيد في الفندق.

كانت غادة فرحة.

«إن مجموعة من الطلاب سيحضرون»، قالت. «معظمهم من البلدة، بالطبع. هذا سيكون عظيماً!»

كانت غادة في كلية التدريب لدراسة اللغات وهنا إلتقت بالطلاب. في البداية كانت سعيدة لرؤية لندن وكل معالمها. لقد ذهبت إلى المتاحف، والمعارض الفنية، وشاهدت كل الأماكن الشهيرة وركبت حتى في النهر.

عندما تبدو غير متعبة، كانت تستيقظ باكراً كل يوم بخطة مبرمجة. أحياناً تقنع والدها لكي يأخذها، وكثيراً ما كانت مشيرة تذهب، أيضاً. لكن غادة لم تكن تمانع بالمغامرة في الخروج وحدها وبالسحر الذي تمتلكه حازت على أية معلومات كانت تحتاجها من الأشخاص الذين كانوا ينتظرون عند موقف الباص أو على أرصفة المحطات.

بعد ذلك، وبصورة مفاجئة، أرادت أن تقوم بعمل إيجابي، وقررت التخلي عن دراسة اللغات. الآن أصبحت مالكة زمام نفسها، تلتقي أصدقاء جدد، وتذهب مع مجموعات إلى دور السينما، والمسارح، والمطاعم. وكثيراً ما كانت تغريها المقاهي الصغيرة. ترتدي ثياباً عادية ومع خليط من مجموعات بنفس سنها كانت قانعة بالجلوس لتناول كوب من القهوة والفطائر وتناقش أو توافق مهما كان موضوع النقاش.

الآن كانت بصورة خاصة متحمسة بأن جميعهم سيأتون إلى الفندق للإحتفال بالعيد. لكن مشيرة لم تقرر. كيف يمكنها أن تندمج مع مثل هذه المجموعة الشابة؟ إنهم قد يرتبكون من وجودها.

«هل تمانعين كثيراً يا عزيزتي»، سألتها، «إذا لم أحضر؟»

«نعم أنا أمانع. إنني بكل أمانة لا أدري ما الذي جرى لك!»

«أفضل البقاء هنا».

«لكن يا مشيرة، أريدك أن تقابلي مسعود وسمر وجميل وأصدقائي الجدد! لقد أخبرتهم كل شيء عنك وأية رياضية أنت. أوه هذا سيء للغاية لك. يجب أن تأتي!»

«دعي عمتك لوحدها»، قال شاكر بهدوء. «إنها تعرف ما هو الأفضل».

«لكن يا والدي! لن يكون كل شيء على ما يرام بدونها».

«إذن بالطبع سأحضر». قالت بسرعة لأن شاكر بدأ يبدو شيئاً صغيراً على الهامش. مسكين شاكر، إعتقدت، ربما رباب ردت على رسائله. مسكين شاكر!

الآن وقد ربطت نفسها فإنها تحاول تركيز كل اهتمامها على إعداد نفسها. إعتذرت وغادرت غرفة الجلوس في طريقها إلى غرفة نومها بحثاً عن ثيابها. يجب أن أكون الأجمل، إعتقدت بيأس. إنني لم أتغير كثيراً.

بأسف، وهي تعرف حماقتها، كانت واعية بأنها قلقة لسبب وحيد. لقد كان من تقاليد عائلة جواد تمضية العيد في الفندق.

جواد سيكون هنا الليلة مع كل عائلته. ومع جواد ستكون زوجته. بحثت مشيرة عن المرآة، تحاول إيجاد قليل من الثقة. هل كبرت؟ إستجوبت نفسها. هل سيلاحظ تغييراً كبيراً بي؟

في النهاية إختارت ثوباً أسود بسيطاً يناسب قوامها النحيل ويجعلها تبدو أطول. الجوهرة الوحيدة التي وضعتها كان دبوساً ماسياً إشترته غادة لها بمناسبة العيد.

«هل أنت جاهزة، يا مشيرة؟ هل يمكنن أن أدخل؟»

«منذ متى كان عليك أن تسألي؟» ردت مشيرة، وبالرغم مما كانت تشعر به، فقد ابتسمت. «أين والدك؟»

«يزمجر في الردهة. لقد كان منزعجاً جداً ـ إلى أن حضر رجال من آل فرحات».

«فرحات إخوان!» بدت مشيرة فرحة بصورة علنية. «كم هم لطفاء جداً. هناك أربعة منهم، ومنذ سنوات عديدة...»

«أعرف يا عزيزتي. لقد حدثتني عنهم جميعاً من قبل. الآن تعالي لكي نقابلهم».

بقلب متسارع النبضات نزلت مشيرة مع غادة. كانت الموسيقى قد عزفت وبدأ الرقص. حول أطراف الغرفة كانت هناك طاولات صغيرة وقلما وجدت مشيرة في نفسها الجرأة لتنظر إليهم. يمكن الرهان بنسبة مائة إلى واحد أن عائلة فرحات ستكون مجتمعة حول واحد منها.

لكن قبل أن تسنح الفرصة لمشيرة للتراجع، وجدت نفسها محاطة بمجموعة من الشباب السعداء. قدمتها غادة إلى كل واحد منهم. ثم شاب جميل، يدعى جميل، سحبها إلى قاعة الرقص. ضحكت مشيرة، ولوحت، ثم شخص ما قال:

«هل تسمحين، يا آنسة مشيرة؟»

«تماماً! أجابت، وهي تضحك له.

لقد استمتعت بالرقص والتحدث مع مسعود. فجأة نسيت مشيرة الخوف وقررت أن تمتع نفسها. لو كان جواد هنا في مكان ما، إعتقدت، فلن أكترث كثيراً الآن، لأن من الواضح أنني لن أكون زهرة منثور.

عندما توقفت الموسيقى أخذها مسعود إلى حيث كانت تجلس المجموعة نفسها. شعرت مشيرة بالإرتياح مع هؤلاء الشباب وقد بدا أنهم أعجبوا بها وتقبلوها. عندما انضم شاكر إليهم مع اثنين من آل فرحات، الطلاب لم يفعلوا أكثر من سحب طاولة أخرى إلى البقية.

وفي بعض الوقت تركت مشيرة بدون رفيق ليراقصها. شاكر، والأخوين فرحات، ورجلين آخرين، والتلاميذ شاهدوا ذلك. فقط أثناء فترة الإستراحة رآها جواد وتقدم نحوها.

«لا أستطيع أن أصدق عيناي»، قال لها. «لكن هذه أنت حقاً!»

«جواد»، قالت بأسى، ثم ابتسمت. «كم هو جميل أن أراك بعد كل هذه الفترة. أنت لم تتغير شعرة».

«وأنت لذيذة ولطيفة كما كنت دائماً، يا مشيرة. لقد تغيرت وأنت تعرفين ذلك. إن خصري لا يمكن تمييزه عن بقية جسمي. هل أنضم إليك؟»

«لكن بالطبع»، أجابت، وهي تصلي بأن يعود الرجال بسرعة. غادة، التي كانت تمزح مع فتاتين، نظرت ببعض الدهشة. ثم لما رأت مشيرة تبتسم وتبدو سعيدة، إستدارت نحو صديقتيها ثانية.

«أنت لم تتغيري»، قال جواد. «لست أدري كيف فعلت ذلك. هل كانت حياتك سعيدة وخالية من الهموم؟»

نوعاً ما الإعجاب نصف الساخر لجواد كان فيه شيء من الحقيقة جعلها تتورد من الإرتباك. قبل أن توقفه، أمسك بيدها ونظر حيث كان مرة قد وضع خاتمه.

«ألم تتزوجي، يا مشيرة؟»

«لا»، ردت بصعوبة. «لست متزوجة». صوتها بدا مرتعشاً لأذنيها وهو وضع يداً مواسية على ذراعها. نظر في عينيها وكانت نظرته هي التي ارتعشت أولاً.

أوه، دعينا ننسى الماضي اللعين. إنه وقت الصفح، أليس كذلك يا مشيرة؟»

«لا شيء يحتاج للصفح. كما تقول، لقد انتهى كل شيء منذ سنوات عديدة».

«في تلك الأيام كنت تكنين لي الكثير من العاطفة».

«أعلم، لكنك نسيت أن تكن لي عاطفة».

«فقط لفترة قصيرة، ثم عاد كل شيء أقوى وأعنف من قبل. لقد تركتني، هل تعلمين؟»

«لا، لست أدري».

«لقد خدعتني، يا مشيرة، وشعرت بالإحتقار فقط. لقد حاولت العثور عليك، لأشرح لك، ولأطلب الصفح. لكن الوقت كان متأخراً جداً. زوجتي طلقتني بأسرع ما تستطيع وقد فرحت. لقد بقيت ذئباً وحيداً منذ ذلك الحين».

«أنا آسفة، يا جواد».

ضحك. «لا تأسفي من أجلي. إنني أستحق كل ذلك فقط لأجدك الليلة».

كانت مشيرة مدركة للتبجح الظاهر عليه. لقد كان لا يزال جميلاً بشكل مدمر. لا يزال طويلاً ولين رغم زيادة وزنه. إنه يتحداني ولا أستطيع أن أفكر بالمزيد. هو غير متزوج! جواد حر.

«أنت جميلة جداً ولم تتزوجي»، قال بسرعة. «أخبريني عن نفسك».

«ليس لدي الكثير لأقوله. ذهبت عند شقيقي في سويسرا، ثم توفيت زوجته، وأقمت هناك. كانت لدينا غادة لنعتني بها، كما ترى».

«غادة؟»

«إبنة أخي الصغيرة».

«أوه؟ ومن الذي يعتني بها الآن؟»

ضحكت مشيرة.

«في هذه اللحظة هي تعتني بنفسها تماماً. إنها كبيرة، يا جواد، إنها إمرأة شابة في الحقيقة».

«لقد نسيت كيف يطير الوقت! أنت فقط ما زلت تبدين صغيرة. لا أستطيع الإنتظار لألتقي إبنة أخيك».

مرة أخرى أخذ قلب مشيرة يخفق بسرعة. في تلك اللحظة بكل بساطة ليست لديها الشجاعة لتقدم جواد إلى غادة. ثم تمالكت مشيرة أعصابها. لقد كانت غادة لطيفة جداً بحيث لا تسمح لمشاعرها بالظهور وبكل تأكيد هي لن تخذل عمتها. إختارت عادةً تلك اللحظة.

«ها هي»، قالت مشيرة وأمسكت بيد غادة. «يا جواد، قابل إبنة أخي. يا غادة، هذا صديق قديم لي، إنه جواد».

«كيف حالك؟» توردت خدا غادة قليلاً. عيناها تفتشان وجه مشيرة، ثم شعرت بالإسترخاء. «أليست هذه حفلة عظيمة؟»

«أوه؟» قال جواد. «ألسنا نحن متوازنون قليلاً معكم أيها الشباب هذه الأيام؟»

«متوازنون؟ حسناً فإن جميل ومسعود والباقون يبدو أنهم يجدون أن مشيرة متوازنة. العكس هو الصحيح».

«هكذا لاحظت».

«وهناك شيء مؤكد في عمتي العزيزة قد نزع سلاح أكثر

أصدقائي خجلاً». كانت غادة على صهوة جوادها، عرفت مشيرة، وستدافع عنها حتى الموت. نوعاً ما الوضع كان له جانبه المرح وضحكت مشيرة.

عاد شاكر والأخوين فرحات ومسعود وجميل يحملون صواني الشراب والساندويشات، والفطائر والكعك. قامت مشيرة بتقديم جواد لهم. أطرق شاكر باختصار، ثم ركز على تقديم المرطبات. تمكن جميل من إيجاد كرسي إضافي وهكذا أصبح جواد عضواً مقبولاً في المجموعة. عندما عزفت الموسيقى من جديد وجدت نفسها فتاة الحفلة.

إنتهت الحفلة أخيراً وشعرت مشيرة بالندم. أمسك جواد بيدها قبل أن يغادر وسألها بهدوء:

«هل يمكنني أن أراك ثانية ـ قريباً؟»

«إذا أحببت».

«إذن أين يمكن أن أتصل؟»

«هنا في الفندق لمدة ثلاثة أسابيع. بعد ذلك سننتقل إلى بيت جميل يدعى «السعادة».

«الأمر هام»، قال لها. «لأنني لا أريد أن أفقدك ثانية، يا مشيرة».

«حقاً، يا جواد؟ إذن أنا مسرورة».

«هل حقاً تعنين ذلك؟»

«نعم. كما ترى، اللقاء ثانية هكذا قد أزاح قسماً كبيراً من إذلالي».

«لا تقولي هكذا!»

«أنا آسفة. أنا لم أقصد نبش الماضي. إنها زلة لسان، يا جواد. أنا فعلاً أريد رؤيتك ثانية، وقريباً، أيضاً. إنها ـ إنها ستكون مثل أيام زمان».

وعندما قالت هذه الكلمات العظيمة تبخر آخر دلدول جليدي في قلبها. فجأة شعرت بالدفء والحيوية. ضحكت لجواد بأنفاس متقطعة لأنها في تلك اللحظة كانت واثقة تماماً من نفسها.

«يا جواد»، قالت لتغيظه. «لا تبدو هكذا خجولاً. فقط رؤيتك قد حولتني إلى إمرأة جديدة! لهذا يجب أن أكون شاكرة إلى الأبد. والآن أريد التحدث مع غادة، إذا سمحت؟»

«لا تذهبي الآن! أنا بحاجة للتحدث إليك، يا مشيرة، لأشرح!»

«لقد شرحت كل ما هو ضروري».

«إذن لقد عدنا على الأساس القديم ثانية؟»

«سننتظر ونرى، يا جواد».

«لكنني أعتقد...»

«لقد علمتني السنوات شيئاً ما على الأقل. وهكذا فأنا

www.liilas.com

لست كتفاحة ناضجة على وشك السقوط عن الشجرة. لقد عدنا على الأساس القديم إذا أحببت، لكن في البداية!»

«أوه، إستيقظي، يا مشيرة! لماذا نبدأ ثانية من البداية! ألم نضع الوقت الكافي؟»

«أنت هو الذي أضاع الوقت، والآن جاء دوري. هيا إذهب، يا جواد. حاول أن تكون شاباً من جديد».

كانت تضحك، وتلوح له مودعة وهي تشق طريقها إلى قاعة الرقص.

غادة وشاكر نظرا عندما مشيرة إندفعت باتجاه غرفتها. إبتسم شاكر.

«أعتقد أنك حصلت على فرصة عمرك، يا مشيرة؟»

«مدهش!»

«وأنت تبدين مدهشة»، قالت غادة. «إذن أعتقد أنه كان عملاً رائعاً لأنني لما أعاقبه على أنفه».

«ألم يحن الوقت لنذهب جميعاً إلى الفراش؟» سألت مشيرة. «إنني متعبة».

«قبل أن تذهبي»، قالت غادة بسرعة، «ما رأيك بجميل؟»

«عزيز جداً».

«أتوقع أن نراه كثيراً مع المجموعة عندما نذهب إلى بيت السعادة. هل لديك مانع؟»

«هذا مناي كل دقيقة. والآن، تصبحين على خير».

«تصبحين على خير»، ردت غادة وقبلتها. ثم ذهبت إلى غرفتها. شاكر قال لمشيرة:

«إنني حقاً مسرور لأجلك. مسرور جداً».

«أعلم ذلك، يا شاكر. أشكرك على وعدك بأن تكون لطيفاً معه. هذا هام بالنسبة لي».

«إذن سأكون لطيفاً لدرجة الإيلام. حسناً؟»

«حسناً، يا شاكر! والآن بكل بساطة يجب أن أخلع حذائي. قدماي توشكان أن تقتلاني. تصبح على خير».

الإستعدادات للإنتقال إلى بيت «السعادة» إستغرقت قسطاً كبيراً من وقتهم خلال الأسابيع التالية. خارج البيت كان بحاجة إلى بعض الإهتمام وقد أعيدت زخرفته. البناؤن عملوا بسرعة وتقدمهم أذهل شاكر وأفرحه وكان لديه أمل ضئيل في الإنتهاء في موعد الإنتقال.

غادة أحبت كل دقيقة من جولات التسوق، لكنها صرفت الكثير من المال. كان والدها يسايرها في هذا المجال، وشعر بأنها تستحق كل نوع من المرح.

مشيرة، كانت عملية أكثر، فقد أمضت الكثير من الوقت في إعداد الستائر وكانت محظوظة إذ وجدت إمرأة محلية لتصنعهم لها.

ورغم أنهم استمتعوا تماماً بإقامتهم في الفندق؛ فقد كانوا أكثر استعداداً للإستقرار في بيتهم الجديد...

تراكمت الثلوج بكثافة يوم انتقالهم إلى بيت السعادة، مما ذكر مشيرة بسويسرا. لقد كانت سعيدة، أكثر سعادة مما تعتقد. شاكر وغادة كانا إلى جانبيها وهم يشقون طريقهم عبر الممشى الجليدي. كانوا يحملون رزماً من كل الأشكال والأحجام.

إنزلق شاكر وبحكم الغريزة ساندته كل من غادة ومشيرة حتى استعاد توازنه. كانوا جميعاً يضحكون الآن والنفس يخرج من أفواههم كدخان أبيض.

«سنشعل ناراً هائلة في كل الغرف»، قالت مشيرة.

دخلوا إلى بيت السعادة ومن تلك اللحظة كل العمل كان شاقاً. رجال الأثاث ساعدوا كثيراً في هذا المجال.

«شباب لطفاء»، قال شاكر.

ضحكت غادة. «أعتقد أن الشراب ساعد كثيراً. تلك كانت طريقتك في الرشوة، يا والدي، وقد نجحت». نظرة إلى مشيرة.

«أعتقد أن الرجل ذو الشعر الزنجبيلي قد ركز نظره عليك. في كل مرة أنظر إليه أجد نظره عليك كمراهق مهووس».

«حقاً؟» ومضت عينا مشيرة من الضحك. «من المؤسف أنني لم ألاحظ؛ لكنت بدأت معه علاقة عاطفية!»

كان شاكر ينظر حوله. «حسناً إلى أين نذهب من هنا؟» سأل.

«أعتقد»، إقترحت مشيرة، «أن غادة وأنا نصعد إلى فوق ونرتب الفراش والحقائب. والآن إنني لأعجب أين سنجد الشراشف والحرامات؟»

«أعتقد أنها في غرفتي»، قال شاكر.

«إذن سنبدأ بغرفتك».

«بعد ذلك أعدي لنا الشاي، يا مشيرة، فليس هناك أفضل من كوب الشاي بعد التعب»، شاكر وغادة ردد كالكورس، لإغاظتها.

ذهبوا إلى الفراش تلك الليلة منهمكين تماماً. رغم ذلك استيقظ شاكر باكراً وذهب إلى مكتبه في لندن. إنه يحب العمل وسرعان ما أمسك بزمام يديه القادرتين. رغم ذلك فإنه لم يكن سعيداً تماماً.

إستمرت غادة في الخروج مع أصدقائها الجدد. كانت تتحدث كثيراً عن الوادي وعن بلال. لقد جعلت شاكر يعد بأخذهما إلى الفندق لتمضية إجازتهما القادمة، لكن بدا واضحاً أنه قد اعتاد على انكلترا كما تعتاد البطة على الماء. كانت سعيدة، والسعادة تطل من عينيها. كانت

تضحك كثيراً وتغني بأعلى صوتها. كانت متحمسة لكل شيء وكل شخص.

ذات مساء حضر جميل وهو يحمل بين يديه قطة بيضاء. فرحت غادة كثيراً ودعت القطة آروزا نسبة للمكان الذي أحبته كثيراً. الآن غادة أصبحت تحب كل العالم.

كان قد مضى شهر على وجودهم في بيت السعادة ولم تصل أية رسالة من رباب. بدا شاكر أنه يزداد تعاسة كل يوم، كأنه قطع الأمل. ربما، على كل حال، لم تكن تكن له عاطفة، فبكل تأكيد لو أنها كانت كذلك لوافقت على الزواج منه مهما اختلفت أذواقهما وآمالهما.

مشيرة كانت تلتقي جواد كثيراً. كان يلاحقها مثلما كان يفعل في السابق، منذ سنوات عديدة. لكن مشاعرها الآن كانت مختلطة ومشوشة. لقد حاولت أن تستعيد بعض تلك اللحظات المدهشة التي عرفتها مرة، لكنها لم تفعل. كل شيء أصبح مختلفاً الآن. لقد تغيرت ـ وكذلك هو. لكن هوة سبعة عشر عاماً كانت شيئاً يصعب اجتيازه في الحال، على أية حال، إعترفت لنفسها.

حالما تستطيع أن لا تجد فيه أية غلطة ـ وجدت نفسها الآن تنتقده بطرق عديدة. إن تأكيده بأنها ستكن له عاطفة من جديد، ربما، الحبة الأكثر مرارة للإبتلاع. لقد بدا له

بأنها قد استمرت في عاطفتها نحوه بنفس الطريقة التي تنبأ بأنه قد استمر بعاطفته نحوها. هل كان أميناً حقاً؟ هل سيخذلها ثانية إن هي أصبحت حمقاء وصدقته؟

ذات مساء عندما عاد شاكر من مكتبه إلى البيت تحدثت معه في الموضوع:

«لقد جاء جواد لرؤيتي ثانية اليوم، يا شاكر. هذه هي المرة الثالثة هذا الأسبوع. لكن نوعاً ما كل شيء يبدو مختلفاً الآن. إنه ليس كما تخيلته بتاتاً أن يكون».

«لا شيء أبداً»، ملاحظة شاكر كانت ظلاً من المرارة.

«نحن نتغير، وأفكارنا تتغير، أيضاً».

«هل ـ هل أنت معجب به، يا شاكر؟»

«ليس كثيراً جداً»، أعترف. «لكنه ليس أنا الذي يجب أن يعجب به، أليس كذلك؟ لقد كان كلباً مرحاً في وقته من كل النواحي وبالطبع هناك دائماً ما فعله بك».

«إنه نادم جداً على كل شيء. إنه يحاول جاهداً. أنظر إلى الورد الذي أحضره لي اليوم و. . .»

«ومع ذلك ما زلت غير واثقة؟»

«إنني فقط لا أستطيع أن أغفر كل ذلك ـ كونه خذلني، هذا ما أعنيه. أوه يا عزيزتي، أتمنى لو أستطيع أن أكون واثقة».

«وأنا، أيضاً! أين غادة؟»

«خرجت مع المجموعة. هناك حفلة رقص ستعقد في الكلية وهي رفيقة جميل. إنني معجبة بهذا الشاب».

«إنني معجب بالمجموعة كلها»، وافق شاكر. «من الممتع أن يكونوا حولنا».

ذهبت مشيرة إلى المطبخ لإعداد الوجبة وبعد بضع دقائق كانا جالسين معاً في غرفة الطعام يستمتعان باللحم المشوي والخضار التي أعدتها.

مشيرة، متحدثة بالأمر الواقع، قالت:

«من المضحك أنك لم تسمع شيئاً من رباب. إنني لأعجب إذا كانت قد سافرت ـ عادت إلى سويسرا، ربما؟»

عبس شاكر. «إنني أحاول أن أنساها، يا مشيرة. لقد تركت الأمر لها لتتصل بي وهي لم تفعل. إنها تعرف مشاعري حيالها...»

نظرت مشيرة إلى شقيقها ـ أي شيء قد يضيفه. «إنه الرجل الذي يجب عليه أن يقوم بالملاحقة، يا شاكر. لقد تخليت بسهولة، فقط زرتها مرة ثم تتوقع منها أن تتصل بك. بكل تأكيد ليس هناك من ضرر في رؤيتها ثانية. على الأقل يمكنك أن تعرف وضعك معها».

إستمر شاكر في الأكل واعتقدت مشيرة بأنه قد تخلى. إنه لن يقاوم! ثم فجأة نظر إليها وقال بتفكير:

«ربما أنت على حق، يا مشيرة. سأنتهز فرصة لأكون أحمق، لكنني سأذهب لرؤيتها ثانية. في الحقيقة، سأذهب الليلة».

عند الثامنة والنصف إستبدل ثيابه بثياب عادية. «في حال كانت تلك الباقة من الطلاب هناك»، شرح لمشيرة، وبعد خمس دقائق سمعته يقود سيارته.

مركزاً على قيادته كان لديه وقت قليل ليفكر بهذه الخطوة التي يتخذها، خطوة قد تجعله أسعد رجل على قيد الحياة أو الأتعس. لكن إقتراح مشيرة كان صحيحاً. إنه لا جدوى من الجلوس منتظراً حتى يستطيع أن يكتشف بإيجابية لنفسه إذا كانت رباب ستقبل عرضه أم لا.

عندما توقف قرب الشقة شعر بلحظة هلع. إفترض أنها لم تكن هناك؟ وافترض أنها هناك مع شخص آخر ـ رجل ما اعتادت أن تكن له عاطفة.

ضغط إصبعه على جرس الباب كان عنيفاً وطويلاً، وفتح الباب قبل أن يتوقف رنين الجرس.

فتحت رباب الباب على مصراعيه، بابتسامة ترحيب جعلته يشعر بأن معنوياته قد ارتفعت. قالت بفرح، «هيا إدخل، يا شاكر. كم هو جميل أن أراك».

www.rewity.com

ساعدته على خلع معطفه وقربها كان أشبه ببلسم مهديء لأعصابه المتوترة.

تبعها إلى الأستوديو الذي كان غير مرتب ومكدساً بالأعمال الفنية من كل صنف. نار، مشتعلة بالفحم والحطب، كانت تشتعل عند أحد أطراف الغرفة الكبيرة. نظر شاكر حوله، وقال مبتسماً:

«أنت لست نموذجية جداً، أليس كذلك؟»

بأسى إبتسمت له.

«كل حياتي كانت نفس الشيء. إنني دائماً محاطة بأشياء عديدة!»

«أريد يائساً أن أكون أحد تلك الأشياء».

«سأقودك إلى الجنون خلال أسبوع. إنك ستيأس مني، يا شاكر».

«إنني أكن لك عاطفة قوية».

«إنني سأنسى الأشياء وأدعوك للمجيء لتساعد في كل اللحظات الحرجة. إنني سأفقد شيئاً وأحوم بحثاً عنه حتى أقودك إلى إضطراب عقلي. إنني...»

«إنني أكن لك عاطفة».

«سأبذل جهدي لأكون فقط مثل غادتك الشابة اللذيذة و...»

«رباب، يا أعز مخلوقة عندي، إني أكن لك عاطفة!»

نظرت إليه بصورة مأساوية وهزت كتفيها.

«إنه من سوء حظي، يا شاكر، إنني أكن لك عاطفة أيضاً».

«أنت ماذا؟»

«أكن لك عاطفة ـ ولو لم تحضر لعندي لجن جنوني».

وقف ساكناً، ينظر إليها، وقد خنقته العواطف ولا يدري تماماً ما يقول. نظرت إليه، ورأى أنها كانت خجولة. إرتعشت شفتاها واقتربت قليلاً. بصرخة فرح، شدها شاكر إلى قلبه...

لكنه كان عليه أن يتحدث عن ترتيبات الزفاف قبل أن يغادر. يجب أن يعرف أن هذه المرأة، التي ازدادت عاطفته حيالها، ستتخلى عن حريتها من أجله.

قال، وهو ما زال يطوقها بذراعيه:

«يا رباب، يجب أن تتزوجيني، وإلا فإنني يجب أن أحاول نسيانك. إنني بحاجة ماسة إليك ولا أستطيع إحتمال الإستمرار برؤيتك من حين لآخر. أريدك معي دائماً».

كانت هناك ثقة وتأكيد في جوابها. «إنني لم أشعر حيال شخص آخر مثلما أشعر حيالك، يا شاكر، وهذا هو سبب رغبتي في التخلي عن حريتي. أريد أن أكون مقيدة لك لبقية حياتي».

www.rewity.com

«واختلافاتنا؟» إستجوب بصورة مبهمة.

هزت كتفيها. «يجب أن نعتاد على الإحتمال والصفح ـ لكن أليس هذا جميلاً!»

ضمته إليها. «أوه، يا شاكر، هذا أجمل يوم في حياتي!»

في وقت متأخر من المساء شاكر أخبر شقيقته بما حدث. لقد كانت مندهشة بصورة خاصة، لأنها شكت منذ اللقاء الأول بين رباب وشاكر أنهما منجذبان كثيراً لبعضهما.

الآن سيتزوجان وبعد كل تلك السنين بدون غادة ستكون لديه شريكة دائمة تشاطره أفراحه وأتراحه.

عبرت مشيرة عن فرحتها المخلصة للنبأ وشاكر، كرجل مرح في عز شبابه، أقام إحتفالاً بالمناسبة.

مر الوقت وهما يتحدثان، وينتقلان بسرعة من موضوع لآخر ـ يستجمعان ذكريات الماضي، ويأملان بالمستقبل.

من الطبيعي، إن هي رغبت، ستأتي رباب لتعيش في بيت السعادة. كان شاكر يتطلع ليريها البيت الجديد في نهاية الأسبوع القادم حيث رتب لها لتزور غادة ومشيرة.

مشيرة، بالطبع، كان يجب إستشارتها عن شعورها حول

الترتيبات، وهي كانت تحبذ الإقامة مع شاكر ورباب بعد شهر العسل. ومع أن الموضوع نوقش بصورة مطولة فإن مشيرة إغتبطت ودهشت لتغير نظرة شقيقها. لم يظهر شوقاً كهذا لسنوات عديدة. كانت مراقبته فرحة ومقوّياً.

عن مستقبلها ما زالت غير واثقة، لكن على الأقل لقد وجد هو سعادته أخيراً...

«يا مشيرة»، قالت رباب في نهاية الأسبوع التالي. «أود أن أشكرك».

«لماذا بحق السماء؟»

«لعدم ممانعتك».

«عدم ممانعتي لجعلك شقيقي أسعد رجل عرفت؟ أوه، يا عزيزتي. إنني سعيدة لدرجة أنني بكل أمانة أستطيع أن انفجر!»

«لكن ـ لكنني غير مرتبة ـ من المحتمل أن أصدّع هذا البيت بطرقي غير النموذجية. إنني رهيبة في أعمال البيت ودائماً أفقد أشياء».

«وأنا رهيبة في الرسم، وهكذا نحن صنوان. يجب أن لا تقلقي حول أشياء سخيفة كتلك».

«أعتقد أن كلتاكما مجنونتين»، إعترضت غادة وابتسمت. «لماذا لا تحضران إمرأة ما لتقوم بأعمال البيت. في تلك الحالة لن تعاني إحداكما. متى سيكون الزفاف؟»

«يعتقد شاكر أنه ربما في الربيع. . .» أجابت رباب.

«مدهش!»

تفتحت أزهار النرجس عندما تزوج شاكر من رباب. أقاما حفل إستقبال في الفندق وبدا أن نصف سكان البلدة كانوا هناك. بعد ذلك غادرت رباب وشاكر لبضعة أيام. لا أحد يستطيع إضاعة الوقت للبقاء بعيداً. لقد كانا سعيدين تماماً ومراقبتهما جعلت الدموع تنهمر من عيني مشيرة.

عندما عادت هي وغادة إلى بيت السعادة، تنهدت غادة.

«أليس هذا كله عاطفي؟ هل أنت دائماً تبكين في حفلات الزفاف، يا مشيرة؟»

«فقط عندما أكون سعيدة».

«أحب أن أراك سعيدة، أيضاً».

«حقاً؟ هل تريدين التخلص مني؟»

«نعم، لا أستطيع الإنتظار كي أرى قفا ظهرك. بيت جواد كبير جداً، أليس كذلك؟»

«إنه لم يطلب مني بعد».

«سيفعل. أعدك بذلك. إنه لا يستطيع أن يرفع عينيه عنك اليوم».

«لا أعتقد أنني أريده أن يطلب مني. كل شيء حدث بسرعة. ألا تدركين أنه طوال تلك السنين في الوادي لم

يحدث شيء؟ الآن حدث كل شيء وبشكل مشوش. إنني مرتبكة وخائفة!»

«من إتخاذ قفزة في الإتجاه الخاطيء؟» سألت غادة.

«مثلما قال شاكر، ليس هناك من أحمق مثل. . .»

«أكملي الجملة إذا كانت لديك الجرأة. أنظري، دعينا نتناول كوباً من الشاي. هناك دائماً غد للتفكير بالأشياء».

«نعم، هناك دائماً غد».

شربتا الشاي الذي أعدته غادة، وبعد وقت قصير، ذهبتا إلى الفراش.

في اليوم التالي خرجت غادة مع بعض أصدقائها إلى مقهى صغير قريب. مشيرة، تركت وحيدة، قررت أن تعد القهوة وبعض الساندويشات.

لم تكد تنته من هذه الوجبة الصغيرة حتى قرع جرس الباب. لقد وصل جواد. لقد كان وقتاً غير عادي لزيارته لها وبدت مستغربة عندما فتحت له الباب. ضحك على ملامحها. «ليس هناك من أمر جلل»، طمأنها. «لكنني جئت لغرض».

«غرض؟» إستعلمت، محتارة.

شد على يدها. «غرض خاص، يا عزيزتي». تردد لحظة، وهو ينظر في عينيها. «هل تتزوجينني، يا مشيرة؟

www.rewity.com

لقد أعطيتك الوقت الكافي لاتخاذ قرارك ويجب أن تعرفي الجواب الآن».

عيناها، صريحتان وأمينتان، نظرتا إليه بجدية. «لا، يا جواد. منذ سنوات، عندما خطط لذلك، كان من الممكن أن ينجح زواجنا، لكن الآن لا يمكن».

«إذن أن تردين الصفعة على غلطتي الماضية»، قال بمرارة.

«لا! ليس الأمر كذلك. إنني لا أكن لك عاطفة الآن، هذا هو السبب الوحيد. إذا كنت لا أزال أهتم بك، فالماضي لن يكون له فرق».

«لقد منحتني الأمل»، قال لها، «وأنت تشاهدينني كثيراً كل تلك الأسابيع».

«نعم»، إعترفت. «لقد فعلت ـ لأنني لم أكن حقاً متأكدة من مشاعري. الآن فقط عندما طلبت الزواج مني عرفت مشاعري الحقيقية ـ وهي ليست متينة لبناء زواج عليها».

إستدار بعيداً عنها. «إنني أستحق كل هذا. لقد خذلت من أجل المرأة الخطأ».

لم تجب، بل شعرت بالعطف حياله. وبعد أن غادر فقط ببضع دقائق قالت: «أنا آسفة، يا جواد».

عندما أغلق الباب خلفه شعرت بالإرتياح... لقد كان بلال الرجل الذي ستتذكره دائماً ـ وتكن له عاطفة.

بعد نصف ساعة عادت غادة وقررت مشيرة أن تبوح لها بما حدث. بدأت بإعلامها عن زيارة جواد وعرضه للزواج منها.

إتسعت عينا غادة. «وهل ستتزوجينه، يا مشيرة؟»

«لا. سأتزوج بلال، إذا كان لا يزال يريدني». نظرت إلى غادة بمحبة. «إن عليك أن تقرري، يا عزيزتي، إذا كنت ستقيمين مع والدك ورباب أو تعودي معي إلى سويسرا».

غادة عانقت عمتها. «أحبك يا عمتي، لكن يجب أن أقيم مع والدي. إنه سيتألم إذا تركته الآن. إنه قد يعتقد بأنني لا أحب رباب». تراجعت ونظرت لعمتها بعين ناقدة. «أستطيع أن أفهم لماذا بلال يكن لك عاطفة. أنت ما زلت جميلة. لقد اعترف يوم غادرنا أنه يكن لك عاطفة منذ سنوات».

بعد أسبوع، عندما عاد شاكر ورباب من شهر عسلهما، تمكنت مشيرة من إعلان النبأ لهما. وقد فرحا لذلك. قال شاكر بجفاء. «كنت سأحاول أن أعجب بجواد لأجلك، يا مشيرة، لكنني سعيد لأنك إخترت بلال. من المحتمل أن تكون لديه أخطاء مثلنا، لكنه لن يخذلك».

ضحكت مشيرة بسعادة. «بالطبع لديه أخطاء، وكذلك أنا. لكننا سنتمكن من تحمل أحدنا للآخر».

«كان يجب أن تتزوجيه منذ سنوات»، قال شاكر معاتباً. «لكنك كنت مشغولة بالإهتمام بي وبالصغيرة بحيث لم تكوني تهتمين بشيء آخر. إنني سأفتقدك كثيراً، لكنني الآن عندي رباب ولن أكون تعيساً من جديد».

«أرجو أن لا يكون بلال قد وجد إمرأة أخرى في الوقت الذي أصل فيه إلى هناك»، قالت مشيرة بابتسامة حزينة. «تلك ستكون النهاية لكل شيء».

«لا تقلقي»، طمأنها شاكر. «إنه سيكون هناك بانتظارك».

رحلة العودة إلى الوادي بدت بلا نهاية. ثم رأت مشيرة الجبال المحيطة بالوادي فاغرورقت عيناها بالدموع. أوقفت السيارة التي إستأجرتها ووقفت تتطلع إلى الظلال.

وجدت نفسها عاجزة عن إتمام الرحلة. إنه لا يعرف بقدومها، فقد كانت كسولة لتكتب له. عاد الخوف إليها ثانية.

أدارت السيارة من جديد حتى وصلت أطراف الوادي. كان المساء قد اقترب، والثلوج تغطي القمم. شعرت بعصبية عندما دخلت منطقة الإستقبال، لكن لا أحد هناك. باب عرين بلال كان مفتوحاً لكنه لم يكن هناك.

تجولت في الحدائق. يجب أن يكون هنا. إزداد شوقها لرؤيته مع كل ثانية. سمعت وقع خطوات خلفها فتقلص قلبها بخوف مجهول.

ثم صوت بلال، مرتعشاً بالفرحة، قال، «مشيرة!»

«لقد عدت، يا بلال»، همست، «لأنني أعرف الآن بأنني أكن لك عاطفة».

ذراعاه المشتاقان طوقاها وأدناها من قلبه. لقد كانت معجزة تركتها عاجزة عن الكلام. إن عاطفة بلال حيالها لم تتغير. لقد كانت موجودة هناك طول الوقت وهي قد تجاهلتها - أو رفضت أن تراها...

لقد كانت شعلة ثابتة، صافية تشتعل كمنارة أمل، تشتعل حتى فتحت عينيها واستطاعت أن تراها وتتعرف عليها. العاطفة التي غمرتها زادتها قوة ونشوة. العاطفة التي لا تعرف حدود العطاء.

ثم بذراعين متشابكين تجولا ببطء في الحدائق، وابتسما في عيني بعضهما. قمم الجبال أصبحت تيجاناً من الذهب والشمس توشك على الغروب. الهواء إزداد برودة وتراكمت كتل الثلج. ثم فاح شذى الورد ولاحت بادرة فرحة الصيف.

ضمها بلال إليه، ضمة وعد وبركة. فقط عندئذٍ، بعزة وجلال، بدأت الأجراس تقرع...

العبرة من القصة

نستخلص من هذه القصة العبر التالية:

١ ـ إذا ابتلى المرء بقضاء الله وقدره، وفقد عزيزاً عليه، فما عليه إلا أن يصبر ويرضى بما كتبه الله له، ويردد دائماً «إنا لله وإنا إليه راجعون».

٢ ـ إن المرء مهما عاش في بلاد الغربة، فإنه في النهاية لن يجد أفضل من الوطن الذي نشأ وترعرع فيه.

٣ ـ يجب على المرء أن لا يبيع عاطفته في سبيل المال، لأن المال لا محالة زائل، والعاطفة هي الباقية.